رؤية قرآنية لقيم النهضة: دراسة موضوعية

إعداد

أحمد فخر الرازي بن محمد زابيدي

المشرف

الدكتور أحمد فريد أبو هزيم

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

"التفسير"

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تشرين ثاني، ٢٠٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا أحمد فخر الرازي بن محمد زابيدي ، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع: أحمد فخر الرازي

التاريخ: ٤/١١/٢٠٠٩

The University of Jordan

Authorization Form

I, Ahmad Fakhrurrazi Bin Mohammed Zabidi, authorize the University of Jordan to supply copies of my thesis to libraries or establishments or individuals on request, according to the University of Jordan regulations.

Signature:

Date: 4/11/2009

قرار لجنة المناقشة:

نوقشت هذه الرسالة (رؤية قرآنية لقيم النهضة: دراسة موضوعية) وأجيزت بتاريخ ...٦/٨/٢٠٠٩...

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
د. أحمد فريد صالح أبو هزيم، مشرفاً أستاذ التفسير المشارك – أصول الدين	....
د. محمد خازر صالح المجالي، عضوًا أستاذ التفسير – أصول الدين	....
د. جهاد محمد فيصل النصيرات، عضوًا أستاذ التفسير المساعد – أصول الدين	....
د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، عضوًا أستاذ التفسير المساعد – أصول الدين (جامعة العلوم الإسلامية العالمية)	....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.......... التاريخ ٩/١١/٢٠٠٩

الإهداء

أقدم هذا العمل المتواضع إلى:

- **والديَّ الكريمَين (حفظهما الله ورعاهما)؛**

فهما رمز العطاء والوفاء، وأحق الناس بحسن الصحبة والبر...

- **وزوجتي الفاضلة؛**

جزاء تشجيعها، ومشاركتها لي عناء الحياة، وصبرها..، مما يسر الدرب، وهون الصعب...

- **وأولادي الأعزاء؛**

ثمرة الحياة، وبهجة النفس، وقرة العين، ولب الفؤاد...

وأسأل الله (عز وجل) لهم جميعا عظيم الأجر والثواب، وأن يكون عملي خالصًا لوجهه الكريم؛ إنه سميع مجيب.

شكر وتقدير:

أحمد الله رب العالمين، شاكرًا نعمه وآلاءه، حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده؛ فله (تعالى) الحمد في الأولى والآخرة.

وبعد شكر الله (تعالى) وحمده، أتوجه بآيات الشكر والامتنان إلى الحكومة الماليزية، التي شرفت شخصي الضعيف بمنحة دراسية في المملكة الأردنية الهاشمية الشقيقة، وأخص بالشكر وزارة التعليم العالي (KPT) والجامعة الوطنية الماليزية (UKM).

والشكر موصول إلى الجامعة الأردنية التي أتاحت لي فرصة الدراسة، وزودتني بتسهيلاتها، وأخص بالذكر كلية الدراسات العليا، ولا أنسى أساتذتي الأفاضل في كلية الشريعة؛ فلهم جزيل الشكر والعرفان، على مساعدتهم لي، ورعايتهم واهتمامهم؛ فهذا دأبهم مع طلبة العلم، فجزاهم الله خير الجزاء عن العلم وأهله.

ثم أتوجه بالشكر إلى مشرفي، الدكتور أحمد فريد أبو هزيم (حفظه الله)؛ لتفضله على قبول الإشراف على رسالتي، ومتابعتها متابعة علمية دقيقة، حيث لم يأل جهدًا في إعانتي على إتمامها رغم كثرة المهمات والمشاغل، فأسأل الله (تعالى) أن يثيبه ثوابًا حسنًا في الدنيا والآخرة.

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة، على ما قدموه من جهد في قراءة هذه الرسالة، وما قدموه من ملحوظات وتصويبات.

وأشكر كذلك كل من ساهم في إنجاز هذا العمل.

وأقدم الشكر الجزيل إلى والدي ووالدتي وزوجتي وأصدقائي على التشجيع المستمر والدعاء المتواصل.

فجزى الله الجميع أحسن الجزاء...

فهرس المحتويات:

قرار لجنة المناقشة.....ب
إهداء.....ج
شكر وتقدير.....د
الفهرس المحتويات.....ه
ملخص.....ط
المقدمة.....١

الفصل الأول: التعريف بالمصطلحات ذات الصلة بموضوع البحث.....٧-١٨
المبحث الأول: تعريف الصحوة والنهضة والحضارة والتمدن والعلاقة بينها.....٨
المطلب الأول: الإشارة القرآنية لهذه المصطلحات.....٨
المطلب الثاني: العلاقة بين هذه المصطلاحات.....١٣
المبحث الثاني: ثقافة النهضة في الفكر الإسلامي المعاصر وأهميتها.....١٥

الفصل الثاني: من مرتكزات النهضة ومقوماتها كما بينها القرآن الكريم.....١٩-٣٦
المبحث الأول: الإيمان المقترن بالعمل.....٢٠
المطلب الأول: الإيمان وعلاقته بالنهضة.....٢١
المطلب الثاني: العبادات وعلاقتها بالنهضة.....٢٦
المبحث الثاني: وسائل إصلاح الحياة ٣١
المطلب الأول: سمو الغاية ووضوحها.....٣١
المطلب الثاني: صحة المنطلقات وسلامة الوسائل.....٣٣

الفصل الثالث: من خـــصائص النهـــضة فـــي التصور القرآني.....٣٧-٦٣
المبحث الأول: ربانية المصدر وواقعية التطبيق.....٣٨
المطلب الأول: مفهوم ربانية المصدر وواقعية التطبيق
في مشروع النهضة.....٣٨
المطلب الثاني: من سمات "ربانية المصدر وواقعية التطبيق".....٣٩
المطلب الثالث: من أهداف مشروع النهضة
من خلال "ربانية المصدر وواقعية التطبيق".....٤٣
المبحث الثاني: الثبات والمرونة.....٤٤
المطلب الأول: مفهوم الثبات والمرونة.....٤٤
المطلب الثاني: نماذج على فهم الثبات والمرونة
في القرآن.....٤٥
المطلب الثالث: آثار الثبات والمرونة في نجاح مشروع النهضة.....٤٦
المبحث الثالث: العالمية والخلود.....٤٨
المبحث الرابع: الشمول في الفكر والتوازن في التطبيق.....٥١
المطلب الأول: مفهوم الشمولية والتوازن
والعلاقة بينهما.....٥١
المطلب الثاني: دور الإنسان في تحقيق التوازن من خلال عناصر
الشمولية (الدين – الكون – المياة – الإنسان.....٥٢
المبحث الخامس: الإيجابية والدافعية.....٥٦
المطلب الأول: مفهوم الإيجابية والدافعية.....٥٦
المطلب الثاني: منهج القرآن في بناء الإيجابية
والدافعية.....٥٨

الفصل الرابع: من قيم النهضة الإسلامية في الرؤية القرآنية.....٦٤-١١٥

المبحث الأول: تفعيل دور العقل ومحاربة التقليد الأعمى.....٦٥

المطلب الأول: وسائل القرآن في تفعيل دور العقل.....٦٥

المطلب الثاني: آثار تفعيل العقل في النهضة.....٦٩

المبحث الثاني: تقرير القرآن الكريم لمفهوم إنسانية الإنسان.....٧٠

المطلب الأول: تكريم القرآن للإنسان.....٧٠

المطلب الثاني: التصور القرآني للإنسان وعلاقته بالنهضة.....٧٥

المبحث الثالث: مفهوم الاستخلاف ودوره في تحقيق النهضة.....٧٩

المطلب الأول: الاستخلاف – رؤية قرآنية.....٧٩

المطلب الثاني: المشروع الاستخلافي يحقق النهضة القرآنية.....٨٣

المبحث الرابع: إرساء قيمة العدل.....٨٥

المطلب الأول: العدل في القرآن ٨٥

المطلب الثاني: مجالات العدالة القرآنية.....٩٠

المبحث الخامس: وحدة الأمة ضرورة معاشية وسبيل للنهوض.....٩٤

المطلب الأول: التصور القرآني في وحدة الأمة الإسلامية.....٩٤

المطلب الثاني: مقومات الوحدة وضروريتها

في مشروع النهضة القرآني.....٩٩

المبحث السادس: تأسيس منظومة الأخلاق القائمة على

الحرية والمسؤولية.....١٠٦

المطلب الأول: الأخلاق ومنظومتها.....١٠٦

المطلب الثاني: المسؤولية والحرية والارتباط بينهما.....١٠٧

الخاتمة.....١١٦

المصادر والمراجع.....١٢٠

الملخص باللغة الانجليزية.....١٣٠

رؤية قرآنية لقيم النهضة : دراسة موضوعية

إعداد

أحمد فخر الرازي بن محمد زابيدي

المشرف

الدكتور أحمد فريد أبو هزيم

ملخص

تناول هذا البحث موضوع النهضة في القرآن، وعناية القرآن الكريم بالنهضة وقيمها، في محاولة للخروج بنظرية متكاملة في النهضة، وبيان أهم قيمها في القرآن الكريم، والسبيل إلى التخلص من حالة الركود الفكري والضعف والتراجع في سلم الصعود الحضاري.

وقد تناولت الدراسة أهم المصطلحات ذات العلاقة بموضوع البحث على ضوء فهم قرآني، وبيان الأثر النهضوي في كتب التفسير بين القدماء والمعاصرين، وثقافة النهضة في الفكر الإسلامي المعاصر.

ثم تطرقت إلى بيان أهم مرتكزات المنهج القرآني ومقوماتها في تحقيق النهوض، وهي: الإيمان المقترن بالعمل، والعلم ودوره في تحقيق عمارة الأرض، والإيجابية والدافعية، وسمو الغاية ووضوحها.

وبعد ذلك: تناولت الدراسة خصائص النهضة في التصور القرآني، وهي: ربانية المصدر وواقعية التطبيق، والثبات والمرونة، والعالمية والخلود، والشمول في الفكر والتوازن في التطبيق، وصحة المنطلقات وسلامة الوسائل.

وأخيرًا: بينت الدراسة قيم النهضة الإسلامية في الرؤية القرآنية، وهي: تفعيل دور العقل ومحاربة التقليد الأعمى، وتحقيق القرآن الكريم لمفهوم إنسانية الإنسان، ومفهوم الاستخلاف القرآني ودوره في تحقيق النهضة، وإرساء قيمة العدل، ووحدة الأمة وكونها ضرورة معاشية وسبيل للنهوض، وتأسيس منظومة الأخلاق القائمة على مبدأي الحرية والمسؤولية.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً، يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً، أما بعد:

فإن الأمة الإسلامية اليوم تعيش حالة من الركود الفكري، وتعاني ضعفًا وتراجعًا في سلم الصعود الحضاري، مما يثير عدة تساؤلات عن الحال التي أرادها القرآن الكريم لهذه الأمة، والتي عمل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على بنائها على أسس قرآنية سليمة، فلا بد إذًا من البحث عن مخرج لها، ولكن على هدى من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – للنهوض بالأمة.

تأتي أهمية هذا البحث في تعامله مع واحدة من أخطر القضايا وأكثرها حساسية، فأهمية قضية النهضة تاتي كونها تتعامل مع كتاب الله تعالى دراسة وفهمًا وتدبرًا؛ للخروج بحلول للأزمات التي تعانيها الأمة، وخاصة بعدما مرت به من نكبات ونكسات، وبعد فشل عدد من مشاريع النهضة القومية واليسارية..،وغير ذلك.

ستحاول هذه الدراسة الإجابة على عدة تساؤلات حول موضوع النهضة في القرآن،هي:

١- هل اعتنى القرآن الكريم بالنهضة وقيمها؟ أو: إلى إي مدى بلغت عنايته بالنهضة وقيمها؟

٢- هل نستطيع استخراج نظرية نهضوية متكاملة من القرآن الكريم؟

٣- ما هي أهم القيم النهضوية في القرآن الكريم؟ وما أهمية دراستها؟

كما تتبين أهداف الدراسة من خلال ما يلي:

١- فهم المصطلحات ذات العلاقة بموضوع البحث من منظور قرآني.

٢- استخراج أهم مرتكزات المنهج القرآني ومقوماتها في تحقيق النهضة.

٣- معرفة الرؤية القرآنية المتكاملة لقيم النهضة الحضارية.

الدراسات السابقة: لم تتناول التفاسير القديمة موضوع النهضة بشكل مباشر كمصطلح معاصر وإنما أعطتنا إشارات وملامح بنى عليها المعاصرون فكرة النهضة. أما التفاسير المعاصرة فقد تناولت القيم النهضوي في القرآن الكريم بالتفصيل والبيان واستنباط الدروس والعبر وبناء الفكر وتناولت موضوع نهوض الأمة واستيقاظها وعودتها إلى قمة هرم الحضارات، وعلى رأسها: تفسير المنار لرشيد رضا، والظلال لسيد قطب، والتحرير والتنوير لابن عاشور..، وغير ذلك من التفاسير المعاصرة.

إلا أنه من خلال اطلاعي في المكتبة الإسلامية، وبعد البحث المتأني فيما كتب حول هذا الموضوع، فإنني لم أجد كتابًا أو بحثًا علميًا أو رسالة جامعية قد تناولت هذا الموضوع من كل جوانبه ومن رؤية إسلامية قرآنية، إلا أنه ثمة عدد من الأعمال في هذا الباب تناولت هذا الموضوع من زوايا مختلفة. وجميع هذه الأعمال – التي أجدها – كتب خاصة وليست اطروحات علمية أو أبحاث محكمة، ولعل من أهم ما جاء منها في ثقافة الموضوع:

١) قيم حضارية في القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن، عالم صنعه القرآن، لتوفيق محمد سبع:

تحدث فيه عن حال القيم الحضارية قبل نزول القرآن الكريم، وتوسع المؤلف بإفاضة عن حال الديانتين السماويتين قبل نزول القرآن.. وأكد أنهما كانتا لا تصلحان لبناء أية حضارة، بعدما نالهما من عبث وتحريف.

ثم عرض بعد ذلك لبعض الحضارات البشرية القديمة التي وصفها القرآن الكريم، كحضارة عاد، وثمود، ومدائن صالح، ومملكة داود وسليمان، وبلقيس، وسد مأرب..

وتتجلى قيمة هذا الكتاب دراسته لتلك الحضارات، والتي تؤكد عبقرية العقل الإنساني على مر العصور كما ذهب المؤلف.

وقد استطاع الباحث أن يعطي تصورا واضحا عن فلسفة الحضارة وفقهها وعناصرها، ودورتها التاريخية، وارتباطها بالإيمان، كما وضح دور العلم التطبيقي المتخصص في بناء الحضارات الإنسانية، وأكد أنه لا بد أن يتعاون الإيمان والعلم معا، لكي تزدهر بهما حضارة كريمة تضع الإنسان في مقامه الرفيع الذي يستحقه.

وفي الجزء الثاني من الكتاب تحدث عن قيم الحضارة القرآنية، وإبراز أسرارها الرائعة، وآثارها العالمية، وذلك بالاستمداد من القرآن الكريم مباشرة.

وقد ركز الباحث على مجتمع الإيمان الذي أسسه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ووضح كيف استطاعوا بقدراتهم الطبيعية ومواردهم المحدودة أن يملأوا كل فرغ، وان يسدوا كل عوز، وأن يقدموا للعالم كله نموذج حضارة إنسانية رائدة تملأ الحياة بالأمل والنور، ثم بين كيف صنعت تلك التجربة مستهدية بمنهج الله وقيادة رسوله العظيم، وبين كيف امتدت تلك التجربة وترامت حتى شملت العالم، وأضاءت الحياة بنور الله.

ثم وضح كيف استفادت أوروبا من هذا النبع الطهور، وكيف كافأتنا في النهاية.

وربط بين أطماع المتربصين بتلك الحضارة، وأكد أنهم لا يستهدفون إلا الإسلام، ومهما اختلفت وجهاتهم أو مظاهرهم فهم يجتمعون على الكيد للقرآن وحضارته.

٢) عوامل قيام الحضارات وانهيارها في القرآن الكريم، لأسامة الألفي.

تحدث فيه حول عوامل التحضر بشتى صورها: المادية، والروحية، والاجتماعية، والاقتصادية. كما ناقش الكاتب كلاً منها على حدة؛ فبدأ بالحديث عن "العقيدة"، ثم "الإنسان"، ثم "العقل"، وبعدها عرض الكاتب لعوامل السقوط، ممثلا بنماذج من الحضارات المندثرة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، ثم اختتم الكتاب بباب تناول فيه الحضارتين الإسلامية والغربية في العصر الحالي مبينًا الحضارة التي ينشدها المسلمون.

ومع أن موضوع الكتاب يبدو قريبًا من موضوع البحث إلا أن محوره كان في الجانب الحضاري، بينما يركز هذا البحث على قضية النهضة[1] التي تعد خطوة سابقة على موضوع التحضر، ولربما يصح عدها شرطًا من شروطه، وأن الحضارة ثمار النهضة.

٣) القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية، للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي.

كان هدف الكاتب تزويد القارئ بثقافة قرآنية حول قضية الحضارة، لعله يوقد بها أذهان الناشئة والجيل المعاصر؛ لتحقيق مفهوم التغيير كما ورد في مقدمته، وذلك من خلال الحديث عن ضرورة العودة إلى استمداد الشرائع والقوانين والأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من معين القرآن؛ حتى تعود للأمة الإسلامية والعربية عزتها وكرامتها وهيبتها في المجتمع العالمي؛ فكان جل اهتمامه منصبًا على عدد من

[1] أنظر المبحث الأول من الفصل الأول للوقوف على الفرق بين النهضة والحضارة.

المصطلحات، كالحضارة والمدنية والشريعة والمجتمع..، وكذلك جاء تركيزه حول أهمية الشريعة وكونها منهاجًا للحياة؛ ومن هنا يتبين لنا أن هناك الفرق بين هذا المصنف وبين بحثي في موضوعهما ومحاورهما وإن كانا التقيا في الحديث عن مفهوم الحضارة.

٤) القرآن وأهم عناصر النهضة في الإسلام للشيخ الدكتور عبد الحميد محمد المنيف.
تحدث فيه الكاتب حول مفاهيم عديدة، منها: الإيمان بالله والتوكل على الله والعلم والأخلاق والإحسان والأمانة والعهد والصلاة والصبر والعدل، ثم تحدث عن مراحل الدعوة من تكوين الفرد الصالح، وتكوين المجتمع الصالح؛ ثم عن متطلبات الدعوة كالجهاد، والإنفاق، والهجرة، والاعتصام بحبل الله، والاحتكام إلى الله، وتجنب الفواحش، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ وعد هذه المفاهيم من أهم عناصر النهضة في الإسلام.
وكما يظهر من هذا العرض فإن الكتاب وإن التقى في بعض محاوره مع موضوع هذا البحث، إلا أنه لا يعد أطروحة علمية، وإنما هو كتاب يتحدث عن النهضة من منظور دعوي كما هو باد في تقسيماته، وهذا جهد مشكور من المؤلف وعلى أهميته ليس موضوع هذا البحث لأننا نتكلم من منظور الدراسة التفسيرية.

٥) التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، للدكتور محمود الخالدي.
في هذا الكتاب تركيز على ناحية التفكير وكل ما يتعلق به، وعلاقته بالنهضة، والتفكير – في رأيي– قضية عامة لا بد منها في بداية كل مشروع، ولا يختص ذلك بالنهضة فحسب، ومع تسليمنا بأن بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية التفكير، إلا أن هذا البحث لن يتوقف عند هذا الحد؛ بل يهدف إلى بيان أهم خصائص النهضة وقيمها، وبيان أهم مرتكزاتها وهو ما لم يقف عليه المؤلف.

٦) اتجاهات النهضة والتغيير في العالم الإسلامي للدكتور عباس حسني.
تحدث فيه عن عدد من المفاهيم والقيم المتصلة بالنهضة، ومن أهمها: عقيدة التوحيد، وتوجيه أعمال المسلم في إطار العبودية لله، ومكارم الأخلاق، وتقرير مسئولية الفرد عن الجماعة والجماعة عن الفرد، والإسلام دين وجنسية، وتنظيم شامل لشتى نشاطات الفرد والجماعة والدولة الإسلامية، وتحقيق الأمن الفردي والأمن الجماعي للبشرية؛ موضحًا

أسسًا لا بد منها للنهضة، غير أن النظر الدقيق في هذا المصنف يكشف لنا كيف أن الكاتب قد خلط بين الأسس والخصائص والقيم ولم يفرق بينها، وهو ما سيقوم به بحثي إن شاء الله.

أما في الفصول التالية فقد جاء الكلام عن اتجاهات مختلفة النواحي فيما يتصل بقضية التجديد وتاريخه ودعاماته وحركاته، والذي يعنينا هنا هو حديثه عن دعامات التجديد، كالتالي: حفظ المصدرين السماويين، قيام الأنموذج العملي الرائع للكتاب والسنة في عهد النبوة والخلافة الراشدة، استمرار التطبيق الإسلامي للكتاب والسنة قرونًا عديدة، الانسجام والتناسق بين الإسلام والفطرة البشرية، الانسجام والتناسق مع كل أمور الكون الثابتة والمتطورة، فشل جميع الأنظمة القديمة والحديثة في إسعاد البشرية.

وهو كلام بلا شك ذو نفع كبير، ومنه تحليل عميق لمعاني التجديد، غير أنه ليس موضوع البحث في الحديث عن النهضة، ولا يشكل المحور الأساسي في البحث، فالكاتب قد هدف إلى الحديث عن اتجاهات التجديد والنهوض، فليس هذا من موضوع بحثي ولا جزءًا أساسيًا في قيم النهضة، وإنما المحور الأساسي فيه بيان الرؤية القرآنية لموضوع النهضة بقطع النظر عن اتجاهاتها وتجاربها ومشاريعها، إذ أن ذلك يقتضي أبحاثًا أخرى ذات سمة متخصصة ببيان المجال التاريخي للنهضة.

٧) عن ثقافة النهضة دراسة في قيم العقل والروح والنهضه الإجتماعية، لفيصل العوامي.
كان هدف الكاتب الأساسي توضيح القيم الرئيسية المتصلة بالعقل والروح – باعتبار أنهما يشكلان اللغز المتحكم في حركة الإنسان ونهضته بحسب تعبير الكاتب – بالكيف الذي يتناسب مع مشروع النهضة المنشودة، ولهذا سماها الكاتب بـ**ثقافة النهضة**، ويتكون الكتاب من ثلاثة فصول؛ أولها: الاختصاص بالتأسيس لمنهج النهضة في الدين القائم على التزاوج بين العقل والروح. ثانيها: الاهتمام بمناقشة القيم العقلية في سياق الإجابة على السؤال **كيف نفكر؟**. أما ثالثها: فجاء لإبراز بعض القيم الروحية الأساسية والفرعية.

وأقول: إن الحديث في هذا الكتاب فقط يتعلق بالعقل والروح كثقافة النهضة. وعلى فرض أننا نفهم كلام الكاتب بأن العقل والروح قيمتان من قيم النهضة، فإن قيم النهضة لا تقف عندهما؛ فحري بنا أن نوسع الحديث عن قيم النهضة، وكما سنرى فإن القرآن قد فتح لنا آفاقًا في قيم النهضة تتجاوز هاتين القيمتين.

منهج البحث: لتطبيق خطة البحث السابقة، ولتحقيق النتائج المرجوة من الدراسة قمت باستخدام المناهج التالية:

١- المنهج الاستقرائي: حيث تتبعت الآيات القرآنية المتعلقة بالنهضة، ولو إشارة أو إيماءً، مع التوسع في فهمها، واستنباط ما يتعلق بالبحث منها، من خلال القراءة المباشرة للقرآن الكريم، والرجوع إلى أمهات كتب التفسير والمصادر والمراجع الأخرى؛ للوقوف على أقوال العلماء في الموضوع.

٢- المنهج التحليلي النقدي المقارن: حيث قمت بتحليل ما توصلت إليه من مادة علمية، ونقدها، مقارنًا بين وجهات النظر المختلفة في الموضوع؛ للوصول إلى الحقائق المتعلقة بالنهضة الإسلامية المنشودة.

٣- المنهج الوصفي في ضبط فصول الموضوع ومباحثه ومطالبه وتحديدها.

الفصل الأول:

التعريف بالمصطلحات ذات الصلة بموضوع البحث

المبحث الأول : تعريف الصحوة والنهضة والحضارة والتمدن والعلاقة بينها.

المبحث الثاني : ثقافة النهضة في الفكر الإسلامي المعاصر وأهميتها.

المبحث الأول: تعريف الصحوة؛ والنهضة؛ والحضارة؛ والتمدن؛ والعلاقة بينها.

إن الهدف من هذا المبحث: بيان الإشارة القرآنية لهذه المصطلحات، بعد تحرير معناها اللغوي بإيجاز، ثم محاولة إيضاح العلاقة بين هذه المصطلحات، وذلك من خلال المطلبين التاليين.

المطلب الأول: الإشارة القرآنية لهذه المصطلحات.

الصحوة:

الصحوة في اللغة: من مادة (صحا)، وورد في مقاييس اللغة أنها يدل على انكشاف شيء وخلاف السكر.[٢] وقال الأزهري في تهذيب اللغة: ((...قال الليث: الصحو ذهاب الغيم، يقال اليوم يوم صحو. وأصحت السماء فهى مصحية ويوم مصح. قال: والصحو ذهاب السكر وترك الصبا والباطل، يقال منه: صحا قلبه، وصحا من سكره. قلت: وهكذا قال غيره...))[٣] أما في معجم الوسيط: ((... (صحا) النائم صحوا استيقظ والسكران ونحوه أفاق وقيل صحا القلب تيقظ من هوى أو غفلة والسماء تكشفت سحبها واليوم وضحت شمسه وقل برده؛ (أصحى) صحا صار في صحو و فلانا أيقظه جعله يفيق من إغماء أو سكر؛ (الصحو) يقال يوم صحو وسماء صحو ليس فيهما غيم...))[٤].

إذًا، يمكن أن نقول إن الصحوة في اللغة: الانتباه الطبيعي أو الصناعي، وهي ضد الغفلة الطبيعية أو الصناعية.

أما في القرآن الكريم فلا نجد كلمة **الصحوة** بالضبط، وأقرب مصطلح في القرآن الكريم لكلمة الصحوة هو البعث لدلالته على الحركة الحية، وهو في كلام العرب على وجهين؛ الإرسال والإحياء سواء بعد النوم أو الموت[٥].

فالبعث الدال على الحياة بعد النوم كما في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ **يَبْعَثُكُمْ** فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الأنعام:٦٠]؛ فالآية دليل على معنى البعث هنا هو اليقظة بعد النوم[٦].

---

[2] أبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريّا، **مقاييس اللغة**،(تحقيق عبد السَّلام محمد هَارُون)، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٢٦١.

[3] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، ط١، (تحقيق محمد عوض مرعب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ج٥، ص١٠٤-١٠٥.

[4] إبراهيم مصطفى مع عدد من المؤلفين، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، ج١ ص٥٠٨.

[5] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري، **لسان العرب**، ط ١، دار صادر، بيروت، ج ٢ ص ١١٦.

[6] انظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، **مفاتيح الغيب**، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ج١٣، ص١١.

أما البعث الدال على الحياة بعد الموت[٧]، فورد في قوله تعالى: (قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) [المؤمنون:٨٢]، وقوله تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) [الحج:٧]؛ فهو هنا بمعنى: اليقظة والمعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة بعد الموت في الدنيا.[٨]

أما فالبعث الدال على الإرسال كما في قوله تعالى:(ثُمَّ **بَعَثْنَا** مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) [الأعراف:١٠٣] أي أرسلنا.

هذا من ناحية اللغة؛ أما من ناحية المضمون فيتضح ذلك من خلال إبراز القرآن الكريم لوسائل التفكير وتطبيقها، ووسائل التفكير هي: العقل والسمع والبصر، قال (عز وجل):)وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ([النحل: ٧٨].

وتطبيقاتها، تعني: مجالاتها؛ لأن القرآن الكريم أمرنا بالتفكر في مخلوقات الله، قال تعالى:)أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ([الروم:٨]، قال الشوكاني: ((...أي: أخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً لا علم لكم بشيء، ثم ركب فيكم وسائل التفكير لتحصلوا بها العلم، وتعملوا بموجب العلم من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه...))[٩]؛ وأمرنا القرآن الكريم كذلك بتنشيط العقل بمنع ما يعطل العقل – لعدم استخدام الحواس – حتى لو كانت معطلات طبيعية، مثل: تقليل ساعة النوم. قال تعالى في الحث على استخدام الحواس:)وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ([الأعراف: ١٧٩]، حيث أكدت الآية على أن تعطيل **الحواس**، يعني: تعطيل **مصادر المعرفة** التي تؤدي إلى الجمود والركود، كمثل الميت أو النائم؛ لأن هذه المصادر المعرفية هي وسيلة الصحوة.

أما في تقليل النوم، فقال تعالى: (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا([المزمل:٢]؛ فالآية كأنها تشير إلى الصحوة، فبدايتها تقليل النوم للعبادة ورأسها الصلاة، كما أشارت الآية[١٠]، ثم تأتي الخطوة الثانية، فقال تعالى:)وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا([المزمل:٤]؛ لأن في قراءة القرآن الكريم زيادة

---

[7] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٨، ص٨٧.

[8] انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، تحقيق سامي بن ممد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ج٥، ص٣٩٨.

[9] الشوكاني، محمد بن على بن محمد (ت ١٢٥٥هـ)، **فتح القدير**، ٥مجلدات، (تحقيق سيد إبراهيم)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م، ج٢، ص٢٣٠.

[10] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٢٣٦-٢٤٣.

فـــــــي الوعي والانتباه، والمقصد أن يجد الفكر فسحة للنظر وفهم المعـــاني، وبـــذلك يـــرق القلب ويفيض عليه النور والرحمة.[١١]

النهضة:

النهضة في اللغة من مادة نهض، وفي معجم الوسيط: ((... (نهض) نهضا ونهوضا قام يقظا نشيطا ويقال نهض من مكانه إلى كذا وله قام وتحرك إليه مسرعا... (النهضة) الطاقة والقوة والوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره ويقال كان من فلان نهضة إلى كذا حركه وهو كثير النهضات (محدثة)...)) [١٢]

ويلمح القرآن الكريم إلى مفهوم النهوض بالأمر بقيام الفرد أو الجماعة للعبادة أو الدعوة أو تأسيس الأمة. أما في النهوض لتأسيس الأمة، فكقوله تعالى:)وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّـــةٌ يَـــدْعُونَ إِلَـــى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ([آل عمران:١٠٤].

وأما في النهوض للدعوة أو التبليغ، فكقوله تعالى:)قُمْ فَأَنْذِرْ([المدثر:٢]، ((...أي: فافعـــل الإنذار أو أحدثه، فلا يُقصَدُ مُنْذَرٌ مخصوص، وقيل: يقدر المفعول خاصًا، أي: فأنذر عـــشيرتك الأقربين، لمناسبته لابتداء الدعوة في الواقع، وقيل: يقدر عامًا، أي: فانذر جميع النـــاس؛ لقولـــه تعالى:)وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا([سبأ:٢٨] ولم يقل هنا: وبشير؛ لأنه كـــان فـــي ابتداء النبوة والإنذار هو الغالب إذ ذاك أو هو اكتفاء، لأن الإنذار يلزمه التبشير...))[١٣].

وأما في النهوض للعبادة، فكقوله (سبحانه):)وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ([هود:١١٤]، وقوله تعالى:)وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُـــوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ([البقرة: ٤٣]، وهذا القيام هو أساس بعث الحركة والنشاط، الدافعين إلى المعرفة، والمُخَلِّصَيْن من الجمود والركود.

وقبل أن نُعَرِّف كلمتين الحضارة والتمدن، حري بنا أن نعرف كلمة الثقافة، فللثقافة صلة بالمدنية والحضارة.

في معجم الوسيط يطلق هذه الكلمة للعلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيهـــا[١٤].

وفي لسان العرب: ((...قال ابن السكيت: رجل ثَقْفٌ لَقْفٌ إذا كان ضابطاً لما يَحْوِيه قائمـــاً بـــه،

---

[11] انظر: ابن عطية، أبي محمد عبد الحق (ت ٥٤١هـــ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المعروف بتفسير ابن عطية**، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٩١٢.

[12] إبراهيم مصطفى مع عدد من المؤلفين، **معجم الوسيط**، ج٢ ص٩٥٩.

[13] الآلوسي، أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠هـــ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، ١٥ مجلدات، (تحقيق محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٥، ص١٨١.

[14] إبراهيم مصطفى مع عدد من المؤلفين، **معجم الوسيط**، ج١، ص٢٠٣.

ويقال ثَقِفَ الشيءَ وهو سُرعة التعلم؛ وقال ابن دريد: ثَقِفْتُ الشيءَ حَذَقْتُه وثَقِفْتُه إذا ظَفِرْتَ به...))[١٥].

إذا، إنها تعني: فطن ذكي ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، وفي القرآن، قال الله تعالى:)مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا **ثُقِفُوا** أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا([الأحزاب: ٦١] أي وجدوا وواجدهم أحذق منهم وأفطن وأكيس وأصنع[١٦]. ويستعار بها للبشر فيكون الشخص مهذباً ومتعلماً ومتمكناً من العلوم والفنون والآداب، فالثقافة هي إدراك الفرد والمجتمع للعلوم والمعرفة في شتى مجالات الحياة، فحصول على الثقافة هي شرط للحصول على الحضارة العالية والتمدن الراقية.

الحضارة:

جاء في لسان العرب؛ ((...حضر: الحضور: نقيض المغيب والغيبة؛ والحضر: خلاف البدو، والحاضر: خلاف البادي؛ الحاضر: المقيم في المدن والقرى والبادي المقيم بالبادية؛ ويقال: فلان من أهل الحاضرة، وفلان من أهل البادية، وفلان حضري، وفلان بدوي، والحضارة: الإقامة في الحضر؛ والحضر والحضرة والحاضرة خلاف البادية، وهي: المدن والقرى والريف سميت بذلك؛ لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار؛ ويقال للمقيم على الماء: حاضر وجمعه حضور وهو ضد المسافر...)) [١٧].

الحضارة في اللغة الإقامة في الحضر[١٨]، وهي ترتبط بالحضر والعمران، أي: أن المصطلح من ناحية اللغة العربية ذاتها يحمل المعنى الاجتماعي، وذلك عند اعتبار الحضارة علامة على الحضور والإقامة والاستقرار، وهذه كلها تحمل معاني اجتماعية، فإذا سكن الناس واستقروا نشأت بينهم صلات اجتماعية أكثر، وارتبطت مصالحهم، ونشأت بينهم سبل التعاون، واتجهوا إلى بناء المدن والإبداع والانتظام والتنظيم[١٩]. إذًا، الحضارة هي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني، ومظاهر الرقي العلمي والفني والاجتماعي.

وتستعمل كلمة **حضر** في القرآن الكريم بمعنى: **شهد**، كقوله تعالى:) إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ([البقرة:١٨٠]، وقوله تعالى:) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى ([النساء:٨]، كما تأتي كلمة **شهد** بمعنى **حضر**، كقوله تعالى:)فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ([البقرة:١٨٥].

---

[15] ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٩ ، ص١٩، بتصرف قليل.

[16] البقاعي، أبي الحسن إبراهيم بن عمر(ت ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ٨مجلدات، (تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج٦، ص١٣٦.

[17] المرجع السابق، ج ٤ ، ص ١٩٦-١٩٧، بتصرف قليل.

[18] إبراهيم مصطفى مع عدد من المؤلفين، **معجم الوسيط**، ج١، ص٣٧٨.

[19] نصر محمد عارف، **الحضارة – الثقافة – المدنية**. ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٤ م ، ص٥٩.

ومن ناحية مضمون الحضارة، هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تشير إلى النظم الاجتماعية في كل نواحيها سواء كانت في الأسرة أو العبادة أو الاقتصاد أو القضاء أوغيرها، على سبيل المثال قوله تعالى:)يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ([الأعراف:٢٦]، وفي معنى: " أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ "، ثلاثة أقوال: ((...أحدها: خلقنا لكم، والثاني: ألهمناكم كيفية صنعه، والثالث: أنزلنا المطر الذي هو سبب نبات ما يتخذ من لباس...))[٢٠]، فارتداء اللباس فعل حضاري ميّز به الله البشر عن الحيوانات، التي كان لباسها من ذات جلودها، والمراد بالإنزال: المن والتفضل بالعطاء؛ ومواراة السوأة؛ وتغطية الأجسام مسألة حضارية تظهر فيها شخصيات الناس.

ولقد صور لنا القرآن الكريم صورة الحضارة المثلى في سورة العصر، قال تعالى:)وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)([العصر:١-٣]؛ فقد تضمنت هذه السورة القصيرة المقومات الأساسية للحضارة المثالية[٢١].

فالتوجيه الحضاري في القرآن الكريم أكثره يركز على سلوكيات الناس في المجتمع،[٢٢] ولقد حذر المسلمين من تقصير في القيام بواجباتهم النهضوية الحضارية، وأنذرهم بأن التحولات الحضارية والأمجاد قد تفارقهم، وتجد في غيرهم المظلة النافعة، وأن البقاء للأصلح، والميراث لمن يعمل الصالحات، لا في المجال الديني وحده، وإنما في النطاق المادي الدنيوي أيضًا. قال الله تعالى:)وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) ([الأنبياء:١٠٥-١٠٦][٢٣].

التمدن:

التمدن بمعنى: التحضر، وأصله من الفعل الثلاثي مدن، ومنه التمدن والمدنية والمدينة، وكل أرض يبنى بها حصن فهي مدينة[٢٤]، وفي المعجم الوسيط: ((...(مدن) فلان مدونا أتى المدينة؛ (تمدن) عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة والمدائن بناها؛ (تمدين) عاش عيشة أهل

---

[20] ابن الجوزي، إبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط٢، ٤ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٣٩.

[21] مألوف ياسين، **الأسس البنيوية في الحضارة الإسلامية**، ط١، دار الهجرة، بيروت، ١٩٩٢م، ص٢١.

[22] للمزيد من المعلومات انظر: البغدادي، جلال الحنفي، **الحضارة الإسلامية من خلال الآي القرآني**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

[23] انظر: الزحيلي، وهبة، **القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصة الحضارية**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٣م، ص٨٥.

[24] ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٣ ص٤٠٢.

المدن وتنعم وأخذ بأسباب الحضارة؛ (المدنية) الحضارة واتساع العمران؛ (المدينة) المصر الجامع (ج) مدائن و مدن...))[٢٥].

فالتمدن، هو: تطبيق عام للحضارة، وقد تكون أسباب الحضارة التي يعيش فيها الناس موجودة، ولكنهم تاركون لهذه الأسباب؛ فنحن المسلمون اليوم، متخلفون ولسنا متمدنين؛ لأننا أهملنا أسباب الحضارة ولم نأخذ بها.

والتمدن يتضمن الجوانب المادية اللازمة لصياغة الأمة المتحضرة، كالحرف والمكاسب والصناعات والوسائل المادية والأساليب العلمية[٢٦].

فالقرآن الكريم أعطانا التصور للتمدن، خصوصًا حين يحدثنا عن الأمم السابقة، كما في قوله تعالى عن عاد في سورة الشعراء:)كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ{١٢٣} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ{١٢٤} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ{١٢٥} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ{١٢٦} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ{١٢٧} أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ{١٢٨} وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ{١٢٩} وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ{١٣٠} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ{١٣١} وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ{١٣٢} أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ{١٣٣} وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ{١٣٤} إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ{١٣٥} ([الشعراء:١٢٣-١٣٥]، ((...أي: أتبنون "بكل ريع" مكان مرتفع، "آية": برج حمام أو بناء يكون ارتفاعه كالعلامة، يسخرون بمن مر بهم "تعبثون" تلعبون "وتتخذون مصانع" مآخذ الماء أو قصورًا مشيدة أو حصونا "لعلكم تخلدون" ترجون الخلود فى الدنيا...))[٢٧].

فهذه الآيات تعرض لوحة حية معبرة عن التمدن، بمادية مكتملة زاهية، استجمعت عناصر البناء والعمارة في الكماليات والضروريات والتجميلات والتحسينات، بالوسائل المختلفة المادية والاجتماعية، وكل هذه الأمور تدل على أن القرآن الكريم أعطانا لمحات وإشارات عديدة في شأن التمدن ضمن قصص الأمم السابقة؛ لكي نتعلم منها، لكي نتمدن ونتحضر، فنكون أمة حضارية مدنية[٢٨].

المطلب الثاني: العلاقة بين هذه المصطلحات.

تكلم الدكتور جاسم محمد السلطان عن العلاقة بين هذه الاصطلاحات من خلال بيان أطوار حركة النهضة، والتي تبدأ من طور الصحوة واليقظة؛ وتتجلى في شكل النهضة التي تولد

---

[25] إبراهيم مصطفى مع عدد من المؤلفين، **المعجم الوسيط**، ج٢، ص٦٣٧.

[26] انظر: الكيلاني، وآخرون، **دراسات في الفكر العربي الإسلامي**، دار الهلال، عمان، ١٩٩٠م، ص٢٤٧.

[27] النسفي، عبد الله بن أحمد (ت ٨١٠هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي**، ط٢، مجلدان، (تحقيق الشيخ مروان محمد الشعار)، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٦م، ج٢، ص٢٧٩.

[28] انظر: سبع، توفيق محمد، **قيم حضارية في القرآن الكريم- عالم ما قبل القرآن وعالم صنعه القرآن**، ط٢، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١٥٦-١٥٧.

بعدها الحضارة والتمدن[٢٩]، وقد حاولت – على سبيل المثال لا الحصر – إظهار هذا الترابط من خلال تتبع الآيات في سورة الأعراف.

أما الصحوة؛ فقد قال الله تعالى:)كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ([الأعراف:٢] يقول الأستاذ سيد قطب بأن في هذه الآية صحوة في طريق التقدم والحضارة، وفيها ذكرى وإيقاظ وانتباه للمؤمنين، وإنذار لغير المؤمنين؛ فإنزال القرآن الكريم هو سلاح أساسي للمؤمنين في تقييم صحوتهم فكرًا ومنهجًا وخططًا حتى يستطيعوا أن يتعاملوا مع مشكلة الزمان والمكان[٣٠].

أما النهضة؛ فإنها تحتاج إلى الحركة، كما قال (سبحانه):)وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ([الأعراف:١٠]؛ فالتمكين في الأرض، والسعي لتحصيل أسباب الرزق والمعايش حتى يستشعر الإنسان لذة العمل والاكتشاف والقوة، هي الحركة.

ثم يأتي التحضر أو الحضارة، بمعنى: نحن لا نعيش في الأرض عيشة سوائم، وإنما نعيش عيشة ملائمة للبشر بالنظام، قال الله تعالى:)يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ([الأعراف:٢٦]؛ فالتقوى تؤسس سلوكا وأخلاقا ربانية، وتنظم اتصال العباد بربهم، وإيجاد علاقة بين العباد قائمة على التعامل بالحسنى.

وأخيرًا: يأتي التمدن، بمعنى: أننا نستمتع بطيبات الحضارة من الإنتاج والإبداع، قال الله تعالى:)يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ([الأعراف:٣٠].

فالحضارة تبنى على محورين؛ المحور المادي المتمثل بالمدنية والازدهار العمراني، والمحور المعنوي المتمثل بثقافتها ومبادئها وعقائدها، وما الصحوة أو النهضة إلا صفات لرقي الأمة وسيادتها من خلال تفعيل هذين المحورين.

المبحث الثاني: ثقافة النهضة في الفكر الإسلامي المعاصر وأهميتها.

إن ثقافة النهضة الإسلامية تقوم على الإلتزام بالعهد مع الله والإنسان، قال الله تعالى:)كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ([آل عمران: ١١٠]، فأنتم –يا أمة محمد– خير الأمم وأنفع الناس للناس، تأمرون بالمعروف، وهو ما

---

[29] انظر: جاسم محمد سلطان، **من الصحوة إلى اليقظة**، ط١، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، ٢٠٠٥م، ص ٤١–٤٨.
[30] انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ط٣٧، دارالشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م، ج٣، ص١٢٥٧.

أمر به الله ورسوله، وتنهون عن المنكر، وهو ما نها عنه الله ورسوله، وتصدقون بالله تصديقا جازما يؤيده العمل. وهذه الآية وحدها تناسب الإنسان، وتناسب التقدم الحضاري والمدني، وهي في الوقت نفسه أرقى صيغ الارتقاء بالإنسان، وبها وحدها توجد الحضارة الإنسانية الرفيعة والمتقدمة.[٣١]

وقد يتبادر إلى الذهن أن النهضة هي التقدم العلمي، وزيادة الإنتاج، ووفرة المصانع، واستعمال التكنولوجيا والإبداع، في توفير الوسائل المادية المستعملة في الحياة، من حيث إن النهضة تعني التقدم، وانتقال المجتمع والناس من حال إلى حال أفضل، حتى خيل للبعض أن كل بلد يعيش في بحبوحة اقتصادية هو بلد ناهض، وهذا القول ينقضه الواقع المشاهد بالحس، في كثير من البلدان التي تتمتع بازدهار اقتصادي، ووفرة في وسائل الحياة المادية، مع أنها في الحقيقة من أكثر البلدان تخلفًا وانحطاطًا.

وللنهضة أساس، وكيفية للوصول إليها تتلخص في الآتي:

أولاً: وجود الفكرة الكلية التي تعرف الإنسان على الحقائق الثلاثة، وهي: الله والكون والإنسان؛ فالخالق هو الله، وما سوى الله مخلوق، قال تعالى:)اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ([الزمر:٦٢]. أما الكون فالله خلقه وفق القوانين الإلهية الثابتة، فقال تعالى:)إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ([القمر:٤٩]؛ لينتفع منه الإنسان في تحقيق عبوديته لله وحده، قال تعالى:)أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظروا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ([العنكبوت:١٩-٢٠]، ويندرج تحت هذه الحقائق الأمور التالية:

١- العلاقة بين هذه الحقائق؛ فالكون بنظامه وخيراته خلق من أجل الإنسان، والإنسان بعقله وقلبه خلق من أجل التفكر في الله وتوحيده، واستلهام معاني الخير من معينه.

٢- إبراز مبدأ الأخذ بالأسباب؛ حثًا وتشجيعًا للإنسان، في جهده لنيل السعادة في الدنيا، التي توصله إلى سعادة الآخرة.

٣- الإجابة على التساؤلات الثلاثة التي تدور بخَلَدِ الإنسان: من أنا؟، من أين جئت؟، وما هو مطلوب مني؟، وإلى أين مصيري؟، قال الله تعالى:) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ([الذاريات: ٥٦]،)أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ([المؤمنون:١١٥].

---

[31] انظر: سعيد حوى، **كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر**، ط ١ ، الرسالة الأولى: منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة، دار عمار، بيروت. ١٩٨٨م، ص ٢٢.

ثانيًا: أن تشمل هذه الفكرة الكلية معالجة مشكلة الفرد الأساسية، وهي تحديد معنى وجوده في الحياة، وحقيقته، كما تشتمل على معالجة مشكلاته جميعها، بحيث تنظم له علاقاته جميعها.

ثالثًا: أن تكون هذه العقيدة فيها قابلية الانتشار، بحيث إنها لا تقتصر على قوم دون آخرين، وذلك لأنها فكرة كلية شاملة. ومن خصائص هذه العقيدة:

١- أنها عقلية يقينية بعيدة عن الظن، بعيدة عن كل شيء لم يقو الدليل اليقيني على صحته، قال الله تعالى:)سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ([فصلت:٥٣] .

٢- أنها تتضمن كيفية تنفيذ ما جاءت به، وطريقة إيجادها في واقع الحياة، فلا تكتفي بجعل معالجاتها وصايا أو توصيات، وللفرد أن يأخذها إن شاء أو يرفضها، بل لا بد من طريقة لها تحتم وجودها في حياة الفرد والناس والمجتمع، شاؤوا أم أبوا.

٣- أنها عقيدة ملزمة، ويأتي إلزامها من القرآن والسنة. [٣٢]

وبعد أن بينّا الأساس الصحيح الذي تقوم عليه النهضة، يجدر بنا بيان قواعد مشروع النهضة، استدلالا بالوحي الإلهي؛ حيث إن هذا البحث يرتكز أساسا على القرآن. [٣٣]

أولاً: الانتفاع الكامل بكل ما في الأرض ظاهرها وباطنها، قال الله تعالى:) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ([هود: ٦١]، الهمزة والسين والتاء تدل على الطلب؛ فالآية تخاطب الإنسان: إن الله أنشأك من الأرض وطلب منك إعمارها، فعليك أن تعمرها.

وقال تعالى:) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم) [البقرة: ٢٩]، فما في الأرض كله لك أيها الإنسان، خلق من أجلك، وعليك أن تستفيد منه. ليس هذا فقط، بل قال تعالى:) أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ([لقمان:٢٠]، فليست الأرض وحدها مسخرة لك، بل ما في السموات وما في الأرض مسخر لك، فاستفد منه.

---

[32] حافظ علي، **النهضة**، دار الينابيع، عمان، ١٩٩٦م، ص ٧٧-٨٤ بتصرف.

[33] انظر: سعيد حوى، **كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر**، ص ١٥-٢٣ - بتصرف.

ثانيًا: استفادة الأمة من الوقت، بتوجيهه إلى مناحي الحياة المختلفة، فلا يذهب سدى، فلنتأمل قول الله تعالى في سورة العصر:) وَالْعَصْرِ{١} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ{٢} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ{٣} ([العصر:١-٣].

ثالثًا: وجود متخصصين في كافة المجالات والميادين يكفون الأمة مؤونة الاستيراد من الخارج، ويغطون احتياجات أمتهم في كل شيء، قال الله تعالى:) فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ([النحل:٤٣].

رابعًا: تحقيق النظام والاستقرار لتتمكن الأمة من الانتفاع بالزمان والمكان، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ([الجمعة:٩-١٠]؛ ولإبراز وجه ارتباط الآية بالفكرة، نقول أن الانتفاع بالزمان هو من حيث تنظيم الوقت لأداء الفريضة المكتوبة ولكسب الأرزاق للحياة، وأما الانتفاع بالمكان فهو أن لكل عمل مكانه اللائق به، فالصلاة في المسجد والبيع في السوق. إذا، للوقت أهميته ودوره، وللمكان أهميته ودوره كذلك.

خامسًا: توفر الثقافة المناسبة للنهضة والتقدم الحضاري المدني؛ فالثقافة المناسبة الوحيدة في هذا المضمار هي الثقافة الإسلامية؛ لأنها تعطي الإنسان كرامته، مع أنها تحقق إنسانيته. قال الله تعالى:) وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ([الإسراء: ٧٠].

والثقافة لها محوران: العلم والأدب؛ أما العلم، فقال الله تعالى:)أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) ([فاطر:٢٧-٢٩]. وردت في هذه الآية ملامح ودلالة العلوم المختلفة وهي قسمين، العلوم الدنيوية والعلوم الدينية. أما العلوم الدنيوية تتجلى في ذكر الآية لأمور الكونية مثل السماء والثمرات، والجبال والدواب والأنعام. أما العلوم الدينية تتجلى في ذكر الآية عن خشية الله وهي من ضمن علم العقيدة، وعن تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والإنفاق وهي من ضمن علم العبادات.

أما في الأدب، فنجد قوله تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ([الحجرات:١١-١٣][34]. تضمنت هذه الآية مبادئ السلوك الكريمة والأخلاق المحمودة.

وقوانين النهضة الخمسة يرتبط بعضها ببعض؛ وكل واحد منها مبني على الآخر؛ فالاستقرار يحقق للمتخصصين بالتنظيم استخدام الوقت والأرض في النهوض بالأمة.

[34] انظر: سعيد حوى، **كي لا نمضي بعيدا عن احتياجات العصر**، ص ١٥-٢٣ – بتصرف.

الفصل الثاني:

من مرتكزات النهضة ومقوماتها

كما بينها القرآن الكريم.

المبحث الأول: الإيمان المقترن بالعمل.

المبحث الثاني: وسائل إصلاح الحياة.

المبحث الأول: الإيمان المقترن بالعمل.

الإيمان معناه في اللغة: قال ابن فارس: ((... (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان كما قلنا متدانيان. قال الخليل: الأمَنَةُ مِن الأمْن. والأمان إعطاء الأمَنَة. والأمانة ضدُّ الخيانة[٣٥]...)) وأمَّا التّصديق فقول الله تعالى: (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا) [يوسف: ١٧] أي مصدِّقٍ لنا[٣٦]. وقال الأزهري: وأما (الإيمان) فهو مصدر: آمن يؤمن إيمانا؛ فهو مؤمن. واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن (الإيمان) معناه: التَّصديق؛ وقال الله تعالى: (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا) [الحجرات: ١٤] [٣٧]

قال الإمام رشيد رضا: ((...الإيمان: هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها، وآيته العمل بما يقتضيه الإيمان عند عدم الصارف، الذي يختلف باختلاف درجات المؤمنين في اليقين...))[٣٨].

وقال الأستاذ سيد قطب عند تفسيره سورة العصر: ((...والعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان، والحركة الذاتية التي تبدأ في ذات اللحظة التي تستقر فيها حقيقة الإيمان في القلب؛ فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة، ما إن تستقر في الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها في الخارج في صورة عمل صالح..، هذا هو الإيمان الإسلامي..، لا يمكن أن يظل خامداً لا يتحرك، كامناً لا يتبدى في صورة حية خارج ذات المؤمن..، فإن لم يتحرك هذه الحركة الطبيعية فهو مزيف أو ميت، شأنه شأن الزهرة لا تمسك أريجها؛ فهو ينبعث منها انبعاثاً طبيعياً، وإلا فهو غير موجود!، ومن هنا قيمة الإيمان..،إنه حركة عمل وبناء وتعمير..،يتجه إلى الله..، إنه ليس انكماشاً وسلبية وانزواء في مكنونات الضمير، وليس مجرد النوايا الطيبة التي لا تتمثل في حركة وهذه طبيعة الإسلام البارزة التي تجعل منه قوة بناء كبرى في صميم الحياة...))[٣٩].

---

[35] أبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكَريّا، **مقاييس اللغة**، ج١، ص١٣٨.

[36] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٢، ص٤٢٥.

[37] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، ج١٥، ص٣٦٨.

[38] رشيد رضا، محمد (١٣٥٤هـ)، **تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار**، ١٢ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، ج١، ص١٠٧.

[39] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٩٦٧.

وهكذا نجد أن الإيمان لا ينفك عن العمل الصالح؛ لأن العمل نتيجة له، وثمرة من ثمره، وهو مظهره الذي يظهر به للناس، فحيثما ذكر الإيمان في القرآن أو ذكر المؤمنين، ذكر العمل الذي هو الترجمة الواقعية والتطبيق العملي للإيمان، ولا تتم حقيقة الإيمان إلا به.[٤٠]

والمقصود من هذا العنوان: أثر الإيمان في نجاح العمل وقبول العبادة، بسبب وجود الارتباط الوثيق بين الإيمان والعمل في آيات القرآن، والعلاقة الوثيقة بينهما في مشروع النهضة.

المطلب الأول: الإيمان وعلاقته بالنهضة.

وأتناول في هذا المطلب أمرين؛ **الأمر الأول:** حقيقة الإيمان الذي ننشده مع بيان أركانه؛ **والأمر الثاني:** الثمرات الناتجة عن أثر الإيمان في تقويم العمل النهضوي.

بين الله حقيقة الإيمان في أكثر من آية في القرآن الكريم، منها: قوله تعالى:)إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ([الحجرات:١٥]؛ فسر الأستاذ سيد قطب هذه الآية بأن الإيمان: تصديق القلب بالله ورسوله، ثم وضح هذا التصديق في ما يلي:

١- التصديق الذي فيه الاستسلام الكامل لحاكمية الله وحده، فلا يرد عليه شك ولا ارتياب، قال الله تعالى:)فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ([النساء:٦٥].

٢- التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، قال الله تعالى:)وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ([الأحزاب:٣٦].

٣- التصديق الذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، قال الله تعالى:)الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ([التوبة:٢٠] [٤١].

إن المؤمن الذي تذوق قلبه حلاوة الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، سيبادر إلى تحقيق حقيقة الإيمان في واقع حياته وفي دنيا الناس، فينطلق انطلاقًا سريعًا إلى الجهاد بالمال والنفس في إعلاء كلمة الله؛ حتى يعيش الناس في ظلال الإيمان بالله وتوحيده. [٤٢]

---

[40] انظر: توفيق محمد سبع، **قيم حضارية في القرآن الكريم-العالم الذي صنعه القرآن**، ط٢، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م، ص١٦٦؛ محمد السيد محمد يوسف، **التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم**، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٨-٤٨.

[41] انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٣٤٩.

فالإيمان في حقيقته ليس مجرد إعلان المرء بلسانه أنه مؤمن، قال الله تعالى:)وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ([البقرة:٨] ؛ وليس هو مجرد قيام الإنسان بأعمال وشعائر اعتاد أن يقوم بها الناس، قال تعالى:)إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ([النساء:١٤٢] ؛ وليس هو مجرد معرفة ذهنية بحقائق الإيمان، قال تعالى:)وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ([البقرة:١٤٦].

إن الإيمان في حقيقته عمل نفسي –تفاعل في نفس الإنسان– يبلغ أغوار النفس، ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان، فلا بد من إدراك ذهني تتكشف به حقائق الوجود على ما هي عليه في الواقع، وهذا الانكشاف لا يتم إلا عن طريق الوحي الإلهي المعصوم، ولا بد أن يبلغ هذا الإدراك العقلي حد الجزم الموقن، واليقين الجازم، الذي لا يزلزله شك ولا شبهة، ولا بد أن يصحب هذه المعرفة الجازمة إذعان قلبي، وانقياد إرادي، يتمثل في الخضوع والطاعة لحكم من آمن به مع الرضا والتسليم، ولا بد أن يتبع تلك المعرفة وهذا الإذعان حرارة وجدانية قلبية، تبعث على العمل بمقتضيات العقيدة والالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية والجهاد في سبيلها بالمال والنفس. ونتيجة لذلك، وعد الله المؤمنين وعدًا حسنًا في الدنيا والآخرة، كل هذه الأمور وضحها قول الله تعالى:)إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ([الأنفال:٢-٤].[43]

وللإيمان أركانه التي بينها الله في قوله تعالى:)آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ([البقرة:٢٨٥]، وفي قوله تعالى)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ([النساء:١٣٦].

وعلاقة هذه الأركان بالنهضة:

١- إن الإيمان بالله يقتضي الاستسلام الشامل لله تعالى، والخضوع لشريعته المشرفة والتفكر في سننه الكونية، هو القاعدة الأساسية في النهضة؛ فنحن نعتمد على إيماننا بقدرة الله في نجاح نهضتنا، ولسنا معتمدين على قوة أنفسنا.

---

[42] انظر: المرجع نفسه.

[43] انظر: القرضاوي، يوسف، **الإيمان والحياة**، ط١٦، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص١٥-١٨. بتصرف واختصار.

٢- الإيمان بالقضاء والقدر – وهو متضمن في الإيمان بالله – يقتضي الصبر على المحن، المواجهة لمشروع النهضة، كما أنه يقتضي الشكر على نعم الله حين ننجح فيه، فلا نيأس أبدا في محاولتنا للنهوض بالأمة.

٣- الإيمان بالملائكة طرف من الإيمان بالغيبيات، تلبية لفطرة الإنسان في شوقه لمعرفة شيء من تلك الحقائق الغيبية، وذلك يريحه من العناء، ومن تبديد الطاقة في محاولة الوصول إلى تلك الحقائق، التي لا يصلح كيانه وفطرته بدون معرفتها، ويبعدهم من الالتجاء إلى خرافات وأوهام مضحكة؛ أو من اضطراب عقولهم وأعصابهم بالعقد والانحرافات، وهذا الإيمان يجعل نهضتنا ملائمة للواقع المحسوس، بعيدة عن الخيالات والأوهام.

٤- الإيمان بالرسل والكتب، يقتضي الامتثالَ لما دعوا إليه؛ لأن السمع هنا – في قوله تعالى "وقالوا سمعنا وأطعنا" – كناية عن الرضا والقبول والامتثال؛ فبدون الامتثال بمنهج الله وبهدى رسول الله، يستحيل علينا النجاح في أي مشروع الذي نقوم به.

٥- الإيمان باليوم الآخر يقتضي الإنصاف في حياة الدنيا والتوازن بين الدنيا والآخرة، فحصول السعادة في حياة الآخرة هو الغاية الأسمى في مشروع النهضة القرآني، وخوف العاقبة في الآخرة يحملنا على تحمل المشاق والمحن، ومن ثم نقوم بوظيفتنا في الاستخلاف والعمران في الأرض وفقا لما أراد الله.[٤٤]

أما الثمرات الناتجة عن أثر الإيمان في تقويم العمل النهضوي، فأستعرضها في النقاط التالية:[٤٥]

١- الإيمان هو رائد التغيير والإصلاح والنهضة:

فهو الذي غير مجتمع الجزيرة العربية من مجتمع الجاهلية والتخلف إلى مجتمع العلم والحضارة، وبالعمل والجهد المرتبط بالإيمان، نهض المسلمون نحو مشركي القريش حتى نجحوا في فتح المكة؛ مصداقا لقوله تعالى:)إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ([الرعد: ١١].[46]

والإيمان يحرر النفس من سيطرة الآخرين؛ لأنه يقتضي الإقرار بأن الله هو المحيي المميت، والخافض الرافع، والضار النافع، وأن مقاليد الكون كلها بيده، قال الله تعالى:) يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ

---

[44] انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج١، ص١٧٢.

[45] انظر: الخطيب، محمد عبد الله، **المجتمع الإسلامي خصائص وحقائق**، ط١، دار المنار الحديثة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م، ص٢٣ وما بعدها.

[46] انظر: القرضاوي، يوسف، **الإيمان والحياة**، ص٢٨٣-٢٨٦.

الأمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ([آل عمران:١٥٤]، وبتقرير الإسلام لهذه الحقيقة قضى على ذل العبودية لغير الله، وأطلق حرية الإنسان من سيطرة المستبدين،[٤٧] وبهذه الإيجابية والدافعية، تنهض الأمة تحت راية **العبودية لله وحدة**.[٤٨]

والإيمان يبعث في النفس روح الشجاعة والإقدام، واحتقار الموت، والرغبة في الاستشهاد من أجل الحق؛ إذ يوحي بأن واهب العمر هو الله، فيجتهد المؤمن في النهوض لأجل الله اجتهادًا قويًا ويقينه أن أجله بيد الله، قال ربنا:) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ([آل عمران: ١٤٥]، بالإيمان تذهب صفة الجبن والخوف من ضمير المؤمن، ويقوى على مواجهة الابتلاء والمحن في مشروعه النهضوي. وأخيرا المؤمن لا يكتفي بالاندفاع إلى العمل فقط، بل يهمه أن يجوده ويحسنه، في إصرار وإتقان؛ لاعتقاده أن الله يراقبه في عمله، وربه لا يرضيه منه إلا أن يقوم بعمله في صورة كاملة متقنة؛ فقال الله تعالى:)وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ([التوبة:١٠٥]، وقال تعالى:)إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ([الكهف:٣٠]. [٤٩]

٢- الإيمان أساس السعادة في الدنيا والآخرة:

فإن السعادة الحقيقية لدى المسلمين هي سعادة نفوسهم، بحسن الظن بالله ويقينهم في أن لهم أجرًا عظيمًا في الآخرة. وهذا ما غرسه الإيمان في قلوب المؤمنين، قال الله تعالى:) زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧) ([آل عمران:١٤-١٦].

يستمر المؤمن في عمله وجهده، وهو عالم بأن الجنة في الآخرة ليست جزاء لأهل البطالة والكسل والفراغ، بل لأهل الجد والعمل والإتقان.[٥٠]

---

[47] انظر: السيد سابق، **العقائد الإسلامية**، دار الكتاب العربي، بيروت، -١٩٨ ، ص٨٥.

[48] سنبين عن الإيجابية والدافعية في المبحث الثالث، إن شاء الله.

[49] انظر: الزيدي، مصطفى عباس خماس، **آيات العمل الكسبي في القرآن**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م، ص٣٠-٣٣، بتصرف.

[50] انظر: القرضاوي، يوسف، **الإيمان والحياة**، ص٢٧٢

والإيمان أساس السكينة وطمأنينة القلب، قال الله تعالى:) الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّـهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ([الرعد:٢٨]،) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً([الفتح:٤].[٥١]

والإيمان يقتضي اليقين بأن الرزق بيد الله، قال تعالى:) وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّـهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ([هود:٦]،) وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ([العنكبوت:٦٠]، وإذا سيطرت هذه العقيدة على النفس تخلص الإنسان من رذيلة البخل والحرص، واتصف بفضيلة الجود والبذل والسخاء، وكان إنسانًا مأمول الخير مأمون الشر، وبذلك ينشط المؤمن في إنفاق أمواله وأوقاته وجهده في مشروع النهضة راجيًا مرضاة ربه. [٥٢]

والإيمان يقتضي الحياة الطيبة، التي يعجلها الله للمؤمنين في الدنيا قبل الآخرة؛ فيجتهد المؤمن بالجدية المستمرة، للحصول عليها في عبادته وأعماله النهضوية؛ تصديقًا بوعد الله في قوله تعالى:)مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ([النحل: ٩٧]،)وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ([الأعراف:٩٦][٥٣].

٣- الإيمان أساس الأخلاق الفاضلة التي تؤدي إلى استقرار المجتمع:

وهو من أهم عوامل نجاح النهضة، قال الله تعالى:) قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) ([المؤمنون:١-١١] .

قال أبو السعود: ((...المعنى: قد فازوا بكل خير، ونجوا من كل ضير، حسبما كان ذلك متوقعًا من حالهم؛ فإن إيمانهم وما تفرع عليه من أعمالهم الصالحة من دواعي الفلاح موجب الوعد الكريم، خلا أنه إن أريد بالإفلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق إلا في الآخرة،

---

[51] انظر: القرضاوي، يوسف، **الإيمان والحياة**، ص٢٧٥.

[52] انظر: السيد سابق، **العقائد الإسلامية**، ص٨٦.

[53] انظر: القرضاوي، يوسف، **الإيمان والحياة**، ص٢٧٣-٢٧٤.

فالإخبار به على صيغة الماضي الدالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت، وإن أريد كونهم بحال تستتبعه البتة؛ فصيغة الماضي في محلها...))[٥٤].

والإيمان هو الركيزة التي تعصم من المفاسد وتنشر الفضائل، قال الله (عز وجل):)وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ{٨٥} وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ{٨٦}([الأعراف: ٨٥-٨٦].

وقد أكد الأنبياء كلهم على هذا المعنى، وقالوا لهم: عندما تؤمنون يسهل عليكم الامتناع عن المفاسد. هذه قضية دعوية خطيرة، لأن السبب في صعوبة مقاومة الفساد؛ أن بعض المصلحين والدعاة يقاومون الفساد من دون أن يغرسوا الإيمان في قلوب الناس. فلو زرعوا في قلوب الناس الإيمان أولاً، لامتنع الناس عن الفساد بأنفسهم، قال الله تعالى:)وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ([العنكبوت:٩]؛ ففي الآية أثر نهضوي بارز، لما آمنوا وعملوا الصالحون أدخلناهم في الصالحين، فصار المجتمع بهم صالحًا.[55]

المطلب الثاني: العبادات وعلاقتها بالنهضة.

العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وهي تجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، وتكون بالقلب واللسان والجوارح مجتمعة، ويجب أن تكون صادرة عن قلب محب.[٥٦]

وللعبادة غايات؛ يمكن أن نلخّصها بما يلي:

١- تحقيق صفة العبودية لله؛ امتثالاً لقول الله (عز وجل):)وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ([البينة:٥].

٢- إظهار الخضوع والتذلل والطاعة والحاجة إلى الله (عز وجل).

٣- إعمار الأرض وتحقيق الاستخلاف فيها.

---

[54] أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود**، ط١، ٦ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ج٤، ص٤٠٢.

[55] انظر: محمد السيد محمد يوسف، **التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم**، ص٣٣-٤٠.

[56] القربوتي، خالد عيسى عبد الله، **التذكرة في الثقافة الإسلامية**، ط١، الدار العثمانية، عمان، ٢٠٠٤م، ص٣٦

٤- تطهير الأرض من كل الطواغيت والجبابرة.

٥- تطهير القلوب من أدران الشرك والمعصية والإثم.

٦- الفوز بالجنة والنجاة من النار.

وذكر بعض الباحثين أن من غايات العبادة ما يلي:

١- إنها غذاء للروح؛ فهي سبب رئيسي في حيوية الروح؛ حيث يظل الإنسان حيًا مكتمل اليقظة دائم الفاعلية والتأثير.

٢- إنها سبيل الحرية؛ لأنها تعتق القلب وتحرره من الذل والخضوع لغير الله.

٣- إنها تهذيب للإنسان وتقويم لإرادته؛ فهي التي تهذب أخلاقه وسلوكه.

٤- إنها امتثال لأمر الله وأداء لحقه طلبًا للثواب، وخوفًا من العقاب، وهو مطلب الأنبياء والمرسلين والصديقين والصالحين. [٥٧]

وتبرز ملامح النهضة من خلال العبادات الرئيسية:

الصلاة:

أثر الصلاة ليس مقصوراً على جانب محو السيئات وتكفير الخطايا، ولكنها تقوم بمهمة إيجابية أخرى.. أنها تقوم بتغذية ذلك الكائن الروحي الذي يعيش بين جوانح الإنسان، والذي لا يكفي لتغذيته علم العلماء، ولا أدب الأدباء، ولا يغذيه إلا معرفة الله تعالى وحسن الصلة به.

إن الصلوات الخمس هي وجبات الغذاء اليومي للروح، كما أن للمعدة وجباتها اليومية، فللصلاة صلة ولقاء بين العبد وربّه، صلة تحسّ فيها الروح بالوصل والريّ، وتجد فيها أنساً وزاداً يغني النفس عن أعراض الحياة الدنيا كلّها. وفي الحديث الشريف: ((قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين...))[٥٨]، فالنهضة تحتاج إلى جهد متكرر من الأمة، والصلاة تغرس في نفس المسلم الإيمان بالله وهو من أعمال القلب، ومن ثم الاجتهاد والسعي بحركات البدن، عملاً بقاعدة الأخذ بالأسباب.

وإذا كان للصلاة هذه الأهمية في تغذية الروح، فهي ليست عبادة روحية محضة، بل إنها عبادة تشمل كيان الإنسان كله، فهي تغرس في نفس صاحبها الروح الرياضية، وتقوّي عضلات جسمه، فهي تتطلب اليقظة المبكرة، والنشاط الذي يستقبل اليوم من قبل طلوع الشمس، وهي بكيفيتها المعروفة أشبه بالتمرينات الرياضية التي يقوم بها الرياضيون لتقوية الجسم ورياضة

---

[57] المرجع نفسه، ص٤١.

[58] أخرجه مسلم في الصلاة (٣٨)

أعضائه، بل إن لها طابعها المميز في المحافظة على درجة اللياقة البدنية المطلوبة والصفاء الذهني والراحة النفسية، وتعدّ جرعة تنشيطية طبيعية يحتاجها الإنسان خلال قيامه بأداء متطلبات حياته اليومية وكثرة مشاغله، ليصبح أكثر حيوية ونشاطاً.

إن الأمة تحتاج إلى قوة نفسية ويقين بعظمة الله تعالى لكي تحقق النهضة، فالصلاة حركة وعمل، تشمل جوانب الإنسان كلها، فالجسم يعمل قائماً قاعداً، راكعاً ساجداً، واللسان يعمل قارئاً مكبّراً مسبّحاً مهلّلاً، والعقل يعمل متدبّراً متفكّراً فيما يتلو أو يُتلى عليه من القرآن، والقلب يعمل مستحضراً رقابة الله تعالى وخشيته وحبّه والشوق إليه.

والصلاة المطلوبة التي يريدها الإسلام، تمدّ المؤمن بحيوية هائلة، وبقوة روحية نفسية، تعينه على أداء النهضة المطلوبة، وتعينه على مصاعب الدنيا وآلامها، لذا قال الله تعالى: (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين، الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) [البقرة:٤٥-٤٦].

أخيراً، فإن الصلاة – بما سنه الإسلام من نظام الجماعة – مدرسة لتعليم مبادئ النهضة الاجتماعية المثلى، والتربية العلمية على المحبة والإخاء والمساواة، وفي صلاة الجماعة كذلك، نوع من التربية على طاعة الأمر، والانقياد للنظام، والخضوع للقانون، واحترام الرؤساء.

الزكاة:

وتتبين لنا ملامح النهضة من فريضة الزكاة من خلال عرضنا لثمرة هذه العبادة للوصول للنهضة المطلوبة.

فالزكاة وسيلة من وسائل الضمان الاجتماعي الذي جاء به الإسلام، فإن الإسلام لا يقبل أن يوجد في مجتمعه من لا يجد ضروريات عيشة.. والمسلم مطالب بأن يحقق هذه الضروريات من جهده وكسبه، فإن لم يستطع فالمجتمع يكفله ويضمنه، والزكاة مورد أساسي لهذه الكفالة الاجتماعية المعيشية التي فرضها الإسلام للعاجزين والمحرومين.

وإن في ذلك منحاً للفقير الشعور بالأمان، بأن هناك من يكفله ويضمنه ولا يتركه فريسة الجوع والعرى والضياع، وهذا تثبيت لإيمانه وطاعة ربه، حيث إن الفقر أو الحرمان قد يزعزع إيمانه لشدّة وطأته على النفس، ففي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كادَ الفقر أن يكون كفراً)).[٥٩]

---

[59] شعب الإيمان للبيهقي (٦٦١٢)

وإن لدى الإسلام من الكفاية ما يجعله يتشدّد في تحقيق فكرة المساواة، وذلك بفرض زكاة يدفعها كلّ فرد لبيت المال، وهو يناهض عمليات المبادلات التي لا ضابط لها، وحبس الثروات، كما يناهض الديون الربوية، والضرائب غير المباشرة التي تفرض على الحاجات الأولية الضرورية، ويقف في نفس الوقت إلى جانب الملكية الفردية، ورأس المال التجاري، وبذا يحتل الإسلام مرة أخرى مكاناً وسطاً بين نظريات الرأسمالية البرجوازية، ونظريات البلشفية الشيوعية.

هكذا نرى ما في الزكاة من معاني النهضة المنشودة من التعاون والتكافل التي تكوّن مجتمعاً خيراً فاضلاً، ليس فيه فقير جائع، أو مسكين محروم، أو عبد يُسترقّ، ولا منقطع في سفر يتعرض للهلاك والضياع، ولا مدين يرهقه همّ الديْن وذلّه..

الصوم:

شرع الإسلام الصوم كبقية العبادات لأهداف إيمانية وروحية، وتربوية ونفسية، وإجتماعية وصحية، وليس مجرد الجوع والعطش والإمساك عن المفطرات، فالله غني عن عبادة الناس، فلا تنفعه طاعة، ولا تضرّه معصية. وقد ذكر القرآن الكريم الهدف من الصوم وثمرته في قوله تعالى: ((يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)). أي الهدف منه التقوى، إن الإسلام وهو يشرّع فريضة الصوم لم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من الطعام والشراب وسائر المفطرات، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائماً من شهواتها المحرّمة ونزواتها المنكرة. فإن الصائم حين يترك ما تشتيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح – وهذه أعظم الشهوات– خلال يوم كامل ثلاثين مرة في كلّ عام، يقوى فيما بعد على كبح جماح نفسه وكسرها عن شهواتها وملذاتها طاعة لله تعالى وإتقاء لسخطه. ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الصوم جُنّة)) أي حفظ ووقاية.

فصيام شهر رمضان يبني منطلقات النهضة في نفوس أفراد المجتمع جميعاً لأنه يعدّ مدرسة تربوية لتقوية الإرادة وتعليم الصبر، ودورة تدريبية لتهذيب الأخلاق والتحلي بمكارمها وفضائلها، وفي الصوم أيضاً تربية على تغيير السلوك وليد العادة إلى سلوك يقوم على الوعي والتفكّر واختيار المواقف، والصوم عبادة جماعية يشعر فيها المسلمون بالودّ والتعاطف، عن طريق مساعدة بعضهم بعضاً، وتساهم أحكام الصوم وآدابه في اتحاد المسلمين وتعليمهم النظام واحترامهم الوقت، حيث جوع واحد في النهار، وترقب واحد للإفطار قبيل الغروب، وأداء لصلاة التراويح بعد العشاء، واستيقاظ للسحور وصلاة الفجر.. وبذلك يظهر في شهر رمضان

المجتمع في صورة خاصة، وروحانية معينة.. ترقّ فيه القلوب، وتخشع فيه النفوس، وتميل إلى أنواع العبادات والطاعات والبر والمواساة.

الحج:

للحج آثار نهضوية ومنافع جمة، أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: (ليشهدوا منافع لهم) [الحج: ٢٨]، فالحج مدرسة ثافية وتربوية: ففي الحج توسيع لأفق المسلم الثقافي، ووصل له بلعالم الكبير من حوله، وقد قيل: السفر نصف العلم. فكمال القيم الأخلاقية التي هي هدف أساسي في مشروع النهضة هي المعيار الأساسي لتميز الأمة المتحضرة.

والحج مدرسة تربوية: يرتفع فيها المسلم إلى آفاق أرقى وأعلى، فهو يتدرب بها على ركوب المشقات وتحمّل المتاعب، ومفارقة الأهل والوطن، والتضحية بالراحة والدعة في الحياة الرتيبة بين الأهل والأصحاب. كل هذه الأمور لو تدبرها رجال النهضة تدبراً عميقاً واعياً، لارتفعت مشاعرهم وهممهم، وتقوت عزائمهم في إنهاض الأمة.

والحج فرصة متاحة لتبادل المنافع التجارية على نطاق واسع بين المسلمين. والحج يحقق المساولة بشكل عملي بين المسلمين، في لباسهم وعباداتهم ومشاعرهم.

والحج فضلاً هن ذلك يمثّل مظهراً لوحدة المسلمين ووحدة الإنسانية من جميع الشعوب والقارات عامة.. وحدة في امشاعر، ووحدة في الهدف، ووحدة في العمل، لا إقليمية ولا عنصرية، ولا عصبية للون أو الجنس أو الطبقة، وترسيخاً لهذه المعاني خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في حجة الوداع قلئلاً: ((يا أيّها النّاس ! ألا إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلاّ بالتقوى، أبلغت؟)) قالوا: بلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٦٠]

والحج مؤتمر عالمي، مؤتمر يعتبر أعظم مذكّر للمسلم بحقّ أخيه المسلم، وإن تباعدت الديار، وأعظم مذكر بأخوة الإسلام ورابطة الإيمان، إنه يحقق تعارف المسلمين وتآلفهم، وتوثيق روابطهم وجمع كلمتهم، وتشاورهم في مصالحهم وأمورهم الدينية والدنيوية.

وهذه الثمار النافعة التي تستفيدها الأمة من عبادة الحج تغرس قيم النهضة في المجتمع الإسلامي، من ديمومة الحركة الإصلاحية النهضوية في المجتمع، إلى مشاركة كل أفراد الأمة في مشروع النهضة على حسب استطاعتهم، فلا مجال لأحد في الاعتزال، مما يظهر روح التعاون في المجتمع، وهم يتكاتفون في تحمل هذا المشروع.

---

[60] مسند أحمد ج٥، ص ٤١١ .

المبحث الثاني: وسائل إصلاح الحياة.

المطلب الأول: سمو الغاية ووضوحها.

غاية المسلم دنيا صالحة وآخرة باقية. ومن هنا فإن حديثنا في هذا المبحث يركز على ما أوجده الإسلام من وسائل للحفاظ على صلاح الحياة، وبقائها على ما خلقها الله عليه من الخيرية والاستقامة.

ومن آيات القرآن في المحافظة على صلاح الحياة، قوله تعالى:) فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) ([الشورى:٣٦-٣٩].

تدعونا الآيات إلى استخدام وسائل مضمونة للمحافظة على صلاح الحياة، وهذه الوسائل تتلخص في الآتي:

الوسيلة الأولى: التوكل على الله؛ فالحياة مسرح لحركة الإنسان، وحركة الإنسان عليها ليست أمرًا اختياريًا له، بل هو مكلف بها ليؤدى رسالة الاستخلاف، وهذه الحركة يحمي نشاطها التوكل على الله من نقطتين:

أ - الحفظ، قال تعالى:) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران:١٧٣] ؛ تدل الآية على أن الوكيل اسم جامع للرقيب والحافظ، في الأمور التي يعنى الناس بحفظها ورقابتها وادخارها، ولذلك يتقيد ويتعمم بحسب المقامات[٦١]، وبقوة التوكل والاعتماد على الله.

ب - الدفع، قال تعالى:) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ) [الفرقان:٥٨]، قال ابن كثير في معناها: ((...أي: في أمورك كلها كن متوكلاً على الحي الذي لا يموت أبدًا، الدائم الباقي، السرمدي الأبدي، الحي القيوم، رب كل شيء ومليكه، اجعله ذخرك وملجأك، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرك...))[٦٢].

الوسيلة الثانية: الحرص على نظافة الحياة من المعاصي، حيث لا يتدنس المؤمن بفعل كبيرة، إلا صغيرة يصعب اجتنابها، ويعالج وقوعها بتوبة، وهذا الحرص نوعان:

---

[61] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٢٨٧.

[62] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٦، ص١١٨.

الأول: حرص اجتناب، وهو تجنب المعاصي، وعدم السير في الطرق المؤدية إليها، وهذا الاجتناب هو المعبر عنه بقوله تعالى:) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ([الشورى:٣٧].

الثانى: حرص إرادة بمعنى: أنهم لا يحبون وقوع الفاحشة، كما أنهم لا يفعلونها؛ لأنهم يبرؤون من النفاق المؤدي وجوده إلى حب شيوع الفاحشة في المجتمعات العامرة بالإيمان، قال تعالى:)إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) [النور:١٩]؛ فالآية تشمل جميع صور إشاعة الفاحشة والانحلال الخلقي لا القذف فقط، فحكم الآية ينطبق على من يؤلفون القصص الخليعة، والروايات الماجنة والأشعار العابثة، وينشرون الصور التي تثير الغرائز الدنيئة، وعلى من ينشئون دور البغاء، والذين يقيمون في نواديهم وفنادقهم حلبات للرقص والطرب، يشترك فيها الرجال والنساء على صور مختلفة مخجلة مخزية تنادى بالجريمة وتهتف بها.[٦٣]

الوسيلة الثالثة: مغفرة الهفوات والزلات، أشارت الآيات إلى أن صبغة الإيمان تحلي صاحبها بالتسامح والسيطرة على شهوة الغضب، فيتجاوز عن الأخطاء في حقه.

الوسيلة الرابعة: النشاط في أداء التكاليف – الذي يدل عليه لفظ الاستجابة في الآيات السابقة وهى وسيلة هامة؛ لأن من لم ينشط في أداء التكليف خسر الدنيا والآخرة، وهذا النشاط ليس أمرًا اختياريًا، بل واجب حتمي لتوقف المحافظة على صلاح الدنيا والآخرة عليه. والدليل على وجوبه أن الله تعالى قد لفت أنظار المؤمنين إلى هذا الواجب عن طريق المقارنة بين التزام أهل الحق بواجبهم، ودفاع أهل الباطل عن باطلهم، قال تعالى:)الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ([النساء:٧٦]، فإذا كان أهل الباطل يدافعون عن باطلهم فأهل الحق أولى بالمجاهدة في سبيل حقهم، مهما كلفهم ذلك من تعب في الحياة؛ لأن صلاح الحياة مرهون على هذا التعب.

الوسيلة الخامسة: العبادة، أشارت الآيات إلى أن أهل الإيمان مقيمون الصلاة، وهذه الإشارة رمز إلى أهمية العبادة في حياة المؤمن، والعبادة في الإسلام واسعة الدلالة، فمبناها الاعتقاد الصحيح، وجوهرها الفرائض، وفروعها المعاملات والأخلاق وأوراق أغصانها الأماني الصالحة.

الوسيلة السادسة: التشاور في الأمور، وهو قاعدة السياسة ولبها ولا تستقيم سياسة بدونه؛ لذلك أمر الله به محمدا (صلى الله عليه وسلم)، فقال تعالى:)وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ([آل عمران:١٥٩]، وقد طبقه الرسول والمؤمنون عمليا، وحركة التاريخ تشهد بذلك.

---

[63] انظر: السيد أبو جبل، **تفسير سورة النور**، القاهرة، ص٧٢و٧٣ بتصرف.

الوسيلة السابعة: أشارت الآيات إلى أن الصف المؤمن يكفل بعضه بعضًا؛ فهم مكلفون أن ينفقوا من رزق الله المسوق إليهم، وهذا الإنفاق يتعدى المعنى الضيق المعتبر فيه، إذ يقصره البعض على المال وهو قصر ضيق؛ لأن الرزق المأمور بالإنفاق منه هو ما ساقه الله تعالى لكل ذي روح على جهة الانتفاع، وعليه فحاصل نفع الإنسان في كسب عقله وجوارحه، وكسب الجوارح إما بما يتمول، وإما بالقوة العضلية، وإذا ثبت هذا فإن الإنسان مكلف بكفالة المحتاجين من إخوانه.

الوسيلة الثامنة: عدم قبول الظلم، أشارت الآيات إلى أن المؤمنين لا يقبلون الذل، وليس من شيمتهم العجز عن مقاومة البغي، مع تقديم العفو إن كان فيه مصلحة، قال ابن كثير (رحمه الله) عن معنى انتصار المؤمنين من البغي: ((...أي: فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بعاجزين، ولا أذلين، بل يقدرون على الانتقام ممن بغي عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا...))[٦٤]، وهذه الوسيلة تضمن للمجتمع أن يكون حاكمًا على مقاليد ذاته حكمًا شرعيًا، لا يذل فيه، ولا يجار عليه.

المطلب الثاني: صحة المنطلقات وسلامة الوسائل.

النهضة من التصور القرآني تنطلق من عدة منطلقات، وتؤخذ من عدة وسائل، أكتفي ببيان منطلقين من أهم هذه المنطلقات، مع وسيلة تطبيقية.

١) اختيار الأحسن في القرآن.

أكد القرآن بأن صبغة الله هي أحسن صبغة، قال تعالى:) صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لهُ عَابِدونَ ([البقرة:١٣٨]، كما أقر القرآن بأن أحسن التأويل يكون بالرد إلى الله ورسوله) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ([النساء:٥٩]، وقد أمر الله للناس كافة باتباع القرآن الذي يصفه (سبحانه) بأنه "أحسن الحديث" مع إنذار من يعرض عنه بالعذاب، قال تعالى:) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ([يوسف:٣].

فلا سبيل إلى نجاح مشروع النهضة إلا باستخدام هذه الصبغة، وهذا باتباع هدي القرآن وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

---

[64] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٧، ص٢١١.

"أحسن" للتفضيل، ويشير إلى الانتقال من الحال السيئ إلى الحال الحسن، ثم الانتقال من الحال الحسن إلى الحال الأحسن منه، وهكذا يستمر إلى قيام الساعة؛ فبهذا المعنى، يلتقي مفهوم **النهضة** بمفهوم اسم التفضيل **أحسن** في قضية انتقال من حال إلى آخر. وفي المقابل تشير إلى الجانب الكمالي في التكاليف وليس الجانب الذي يخرج من عهدة التكليف فقط، قال تعالى:)وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ([الزمر:٥٥].

حين يعتدى عليك فمن حقك أن تعاقب، وهذا حسن، ولكن هناك شيء أحسن في حقك أنت، وهو أن تعفو عنه، وهذا هو مفهوم الأحسن أو اتباع الأحسن، ولكن العفو وأخذ الحقوق في تشريع الله واحد؛ لأن الله هو الذي شرع العفو وهو الذي شرع أخذ الحقوق.

وقد حث القرآن الأمة على أن تكون دائما في أحسن الأحوال، مثل قوله تعالى:) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ([الكهف:٧]، وقوله تعالى:) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ([الزمر: ١٨]، وقوله تعالى:) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ([القصص:٧٧]، وقوله تعالى:) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ([فصلت: ٣٣].

ويبدو اختيار الأحسن في الاتجاهات التالية:

١- شرع الله هو الأحسن، قال الله تعالى:) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ([الزمر: ١٨]،)وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ([الزمر:٥٥] [٦٥].

٢- دين الله هو الأحسن؛ قال الله تعالى:)صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) [البقرة:١٣٨]، هذا الدين دين الله تعالى، فلا يوجد دين أحسن من دين الله، فالأحسن هنا لا يعني المفاضلة، وإنما الثبات في أحسنية صبغة الله[٦٦] ودينه؛ والبشر إذا حاولوا تجريد أنفسهم من دين الله لا يفلحون.

٣- الدعوة إلى الله هي الأحسن؛ قال الله تعالى:)وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ([فصلت:٣٣].

وكذلك الحال بالنسبة لمشروع النهضة، إذ يحتاج إلى هذه الأمور الثلاثة؛ الأحسن في أدائنا نحن، والأحسن فيما اختار الله تعالى لنا، والأحسن في الدعوة.

---

[65] انظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٢، ص ٣٧٩-٣٧١

[66] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٧٢٤.

أما وسيلة تحقيق مبدأ الأحسن، فهي التناصح.

النصح تخليص العمل عن شوائب الفساد، والنصيحة، هي: الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد.[٦٧] إنها أحسن الوسائل التي علمنا القرآن بكل دقة ملخصًا في قوله تعالى:)وَالْعَصْرِ{١} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ{٢} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ{٣} ([العصر:١-٤].

أما في فنون التناصح قال تعالى:) ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ([النحل:١٢٥]، وبها أقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعوته – وكذلك الرسل والأنبياء قبله – حتى ينهض المسلمون، وأدى ذلك إلى تأسيس الدولة الإسلامية الأولى في المدينة ثم فتح مكة.

٢) تحقيق المصلحة

هذه المصلحة ليست للناس فقط، بل لجميع الكائنات في الكون، وينتج عن هذا المنطلق مبدأ نفي الظلم؛ لأنه تعارض مع المصلحة، تصديقا لقوله تعالى:) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١)([النحل:١٠].

هذا الماء لنا فيه نصيب وللحيوان فيه نصيب، ونحن مكلفون بإيصال هذا النصيب إلى الحيوان؛ لقوله تعالى:)كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ([طه:٥٤]، حيث حملنا مسؤولية الأنعام في الكون؛ لأن هذه الأنعام لا تأتي مسخرة لنا إلا أننا نحن في خدمتها كذلك، وهذا مبدأ تحقيق المصلحة.[٦٨]

فالمقصود بتحقيق المصلحة توفير الخير للجميع، وهذا الخير لن يتوفر لهم إلا بعملهم؛ لاحتياجهم إلى بعضهم، مصداقا لقوله تعالى:)لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ([الزخرف:٣٢]، وهذا مفهوم من قوله تعالى:)وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ([الأنعام:١٦٥]، بمعنى: لكل الناس درجة على بعضهم في الشرف والعقل، والمال، والجاه، والرزق، وإظهار هذا التفاوت ليس لأجل العجز والجهل والبخل، فإنه تعالى: متعال عن هذه الصفات، وإنما هو لأجل الابتلاء والامتحان...))[٦٩].

من أهم وسائل تحقيق النهضة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

[67] الجرجاني، **التعريفات**، ص٣٠٩.
[68] انظر: الشنقيطي، **أضواء البيان**، ج٤، ص٢٣.
[69] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٧، ص٣١.

والأمر بالمعروف: الإرشاد إلى المراشد المنجية؛ والنهي عن المنكر: الزجر عما لا يلائم في الشريعة[٧٠]، تعد هذه الوسيلة من أسباب الحصول على الأحسن والخيرية، قال تعالى:) كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ([آل عمران:١١٠]، والمقصود بيان عِلّة الخيرية[٧١]، وصرح القرآن بأنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي من شروط الفلاح، لقوله تعالى:) وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ([آل عمران:١٠٤].

---

[70] الجرجاني، **كتاب التعريفات**، ص٩٣.

[71] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٨ ص١٥٦.

الفصل الثالث:

من خصائص النهضة في التصور القرآني

المبحث الأول : ربانية المصدر وواقعية التطبيق.

المبحث الثاني : الثبات والمرونة.

المبحث الثالث : العالمية والخلود.

المبحث الرابع : الشمول في الفكر والتوازن في التطبيق.

المبحث الخامس : الإيجابية والدافعية.

المبحث الأول: ربانية المصدر وواقعية التطبيق.

تعتبر خصائص النهضة جزء لا يتجزء من من خصائص التصور الإسلامي لكل المعارف الإسلامية، من خصائص الثقافة الإسلامية إلى خصائص العقيدة الإسلامية، وانتهاء بالخصائص العامة للإسلام.

فعندما نتكلم عن خصائص النهضة لا بد من العروج إلى خصائص جميع هذه المعارف الإسلامية.

المطلب الأول: مفهوم ربانية المصدر وواقعية التطبيق في مشروع النهضة.

إن معنى ربانية المصدر، هو:

إن مصدر التشريع في الإسلام هو الله تعالى:، ويشير إلى هذه الحقيقة أول آيات أنزلت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى:) اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ([العلق:١-٥] ؛ فمشروع النهضة يفتقر إلى القراءة والعلم والمعرفة وهذه الأمور إنما تكون منطلقة من هدي الله رب العالمين.

((...ونعني بربانية المصدر: أن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه، منهج رباني خالص؛ لأن مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله (محمد صلى الله عليه وسلم)، ولم يأتِ هذا المنهج نتيجة لإرادة الفرد، أو إرادة الأسرة، أو إرادة الطبقة، أو إرادة حزب، أو إرادة شعب؛ وإنما جاء نتيجة لإرادة الله الذي أراد به الهدى والنور، والبيان والبشرى، والشفاء والرحمة لعباده، كما قال الله تعالى يخاطب الناس:) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً([النساء:١٧٤]،)يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ([يونس:٥٧] ...))[٧٢].

مفهوم الواقعية:[٧٣]

معنى الواقعية أن التشريع الإسلامي قابل للتحقيق في الحياة الإنسانية، وأنه يتفاعل مع حقائق موضوعية ذات وجود حقيقي، وأنه يراعي واقع الحياة التي يعيش فيها الإنسان في الكون، وبهذه الخاصية، فإن مشروع النهضة ملائم لفطرة الإنسان، ومناسب في كل مكان وزمان، ومراع لكل جوانب الحياة

---

[72] القرضاوي، يوسف، **مدخل لمعرفة الإسلام**، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص١٣٧.

[73] انظر: قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ط١٥، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٦٩ وما بعدها.

الإنسانية، ومطبق بكل سهولة، والآية التي تشير إلى هذا المفهوم، قوله تعالى:)وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ([الحج:٧٨]،)لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا([البقرة:٢٨٦]. [٧٤]

والحاصل:

إن مشروع النهضة في الرؤية القرآنية مصدره رباني، وهو المصدر الوحيد بعلو مكانته السماوية، الذي يرقى بالناس إلى أعلى درجة يمكن أن يصل إليها البشر؛ إلا أنه مع هذه المثالية لا يغفل الواقعية. قال سيد قطب: ((...إن الإسلام منهج واقعي للحياة لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة في قوالب نظرية، بل هو يواجه الحياة البشرية كما هي بعوائقها وجواذبها، وملابساتها الواقعية، يواجهها ليقودها قيادة واقعية إلى السير، وإلى الارتقاء في آن واحد، يواجهها بحلول عملية تكافئ واقعياتها، ولا ترفرف في خيال حالم، ورؤى مجنحة لا تجدي على واقع الحياة شيئا...)) [٧٥].

إذًا فهناك واقع منطبق ومنسجم بين الفطرة المستقيمة والعقل السليم وآيات الله تعالى لأن مصدرها كلها يعود إلى الله، بمعنى: أننا لو قبلنا ربانية المصدر في مشروع النهضة القرآني وآمنا به حق الإيمان، لقبلنا واقعية التطبيق مهما كان المكان والزمان والظروف. [٧٦]

المطلب الثاني: من سمات ربانية المصدر وواقعية التطبيق.

السمة الأولى: المنهج إلهي.

إن الله تعالى هو الذي وضع أصل المشروع النهضوي وأساسه ومنهجه، وحدد معالمه بالوحي الإلهي (القرآن الكريم)، قال تعالى:)وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ([النحل:٨٩]، وهذا المنهج النهضوي محفوظ بحفظ الله تعالى للقرآن الكريم، قال تعالى:)إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ([الحجر:٩].

وهذا المنهج القرآني ليس مجرد منهج نظري؛ لأن الأمة طبقته، ونجحت في إسعاد الأفراد وإنهاض المجتمعات، وفي ظله وتحت سلطانه سعدت الأمة بالطمأنينة والعدل والاستقرار، وأعزها بعد ذل، وعلمها بعد جهل، وهداها بعد ضلال، واجتمعت عليه بعد فرقة، وتآخت في ظله بعد عداوة وشحناء، ومن أنكر هذا فقد كذب التاريخ ونفى الواقع، وجحد نعمة الله، وتنكر لكلام مولاه، حيث قال تعالى:) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ

---

[74] انظر: زيدان، عبد الكريم، **أصول الدعوة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٦٩-٧٤.

[75] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٢٢٦.

[76] انظر: محمود الشفاقي، **الفكر الإسلامي في مواجهة الحضارة الغربية**، ط١، مطبعة فجر السعادة-الدار البيضاء، ١٩٩٥م، ج١، ص٢٥٥-٢٥٦.

أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ([آل عمران:١٦٤][٧٧]، فنحن مخطؤون إن أهملنا هذه السمة.

السمة الثانية: عدم تقييد مشروع النهضة الإسلامي بالزمان والمكان، وعدم تأثره بهما.

إن الله تعالى خالق الزمان والمكان، فلا يتصور منطقيًا تقيده بمخلوقه[٧٨]، قال تعالى:)أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ([الأعراف:٥٤] ؛ فالنهضة القرآنية ربانية مصدرها شرعت لكل الأمم في كل الأزمنة بدون استثناء؛ تصديقا لقوله تعالى:)وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا([سبأ:٢٨] ؛ فالنهضة التي مصدرها البشر لا يمكنها استيعاب جميع حاجاتهم المستقبلية المتجددة بتطور الحياة وتغير الزمان؛ لقصورهم ومحدودية قدراتهم. أما النهضة القرآنية فهي شاملة وصالحة لإصلاح كل زمان ومكان.

السمة الثالثة: كمال مشروع النهضة؛ لأنه من لدن الحكيم الخبير.

الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع ومتممة لها، قال الله (عز وجل):)الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا([المائدة:٣] ؛ لذا فإن النهضة القرآنية نهضة كاملة تامة، سدت كل ما لم تأت به المشروعات النهضوية الأخرى من تحقيق مصالح الناس في حياتهم ماديًا وروحيًا.

السمة الرابعة: رائد النهضة المثالي هو محمد (صلى الله عليه وسلم).

الرسل هم مبلغون وحي الله تعالى ومتبعوه، وليس لهم فيه إلا ذلك، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ([المائدة: ٦٧]، وبناء على هذه الحقيقة، فليس لغيرهم من البشر أن يستقل بالتشريع، دون الرجوع إلى وحي الله تعالى على ألسنة رسله صلوات الله عليهم أجمعين[٧٩]؛ فإن البشر محكومون بهذا الوحي الذي أنزله الله على الرسل، وليس لهم أن يغيروه أو يبدلوه، وإنما هم متعبدون به، داخلون تحت أمره ونهيه[٨٠]، ووظيفة العلماء منهم لا تعدو الشرح والتفسير والاستنباط، وليس لهم سلطة التشريع وإصدار القوانين وفق أهوائهم أو أهواء سلاطينهم.[81]

السمة الخامسة: إن الكون ميدان لمشروع النهضة القرآني، وقيام الإنسان بهذا المشروع العظيم في هذا الكون ابتلاء من الله تعالى له، فقد خلق الله الكون مسلمًا له، قال تعالى:(أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ

---

[77] انظر: يوسف القرضاوي، **الحل الإسلامي فريضة وضرورة**، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٤٠-١٤٣.

[78] انظر: **بين الربانية والمادية**، مصطفى مشهور، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٠-١١.

[79] انظر: مصطفى مشهور، **بين الربانية والمادية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٠-١١.

[80] انظر: القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص٤٣.

[81] انظر: محمد السيد يوسف، **منهج القرآن في إصلاح المجتمع**، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٣٧٩.

يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[آل عمران:٨٣]، وإذا كان الكون كله مسلما، والإنسان جزءا منه فلا ينبغي أن يكون الإنسان هو المخلوق الوحيد الشاذ عن مفردات الكون بمعصية الله تعالى؛ فالنهضة تقتضي أن يكون الكون بما فيه ومنهم الناس كلهم لله مسلمون، حتى تسير عجلة الحياة وفق ما أراده الله.

ثم لا بد للمصلحين في مشروع النهضة من التفكر وإعمال العقل والتدبر في السنن الإلهية وقوانينها، وهناك نوعان رئيسيان منها هما: السنن الكونية والسنن الاجتماعية؛ وإن بينهما من التلاحم الشيء الكثير؛ لأن السنن الكونية يفيد منها الإنسان وهو يراعي السنن الاجتماعية؛ فالليل والنهار وحركة الشمس والقمر من السنن الكونية، لكن الإنسان عليه أن يراعي قوانينها وهو يستفيد من المسخرات في حركته الاجتماعية، والأمر أوضح من أن نقف أمامه؛ لأن الإنسان بسنن حركته التاريخية يتحرك في الكون بسننه الكونية.[٨٢]

وقد أودع الله في الإنسان القدرة على معرفة هذا القدر من السنن الكونية؛ وعلى تسخير قوى الكون وفق هذه السنن للنهوض بالخلافة، وتعمير الأرض، وترقية الحياة، والانتفاع بأقواتها وأرزاقها وطاقاتها[٨٣]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[لقمان:٢٠].

السمة السادسة: المنهج القرآني في النهضة منهج واقعي.[٨٤]

القصة في القرآن تتناسب مع الأحداث الموجودة في المجتمع لتصنع لهم الحلول، وكذلك الأمثال في القرآن، وهذه الآيات في تقسيمها المكي أو المدني أو القصة أو المثل، تكون واقعية تُناسب جميع أفراد المجتمع، العامي والعالم، الرجل والمرأة.

وهكذا عند نزولها أو عند الحديث عن العلوم الطبيعية، فمشروع النهضة المطلوب في هذا العصر يجب أن يتبع هذا المنهج القرآني في واقعية النزول والقصة والمثل وغير ذلك، لكي تنهض بجميع أفراد المجتمع الإسلامي.

وتتجلى هذه الواقعية فيما يلي:

---

[82] العجمي، أبو اليزيد أبو زيد، **الحضارة الإسلامية وجه جديد**، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٥٢.

[83] انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص١١١٩.

[84] انظر: الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي – سوريا ، **التوازن المرجعيات العقدية والسلوكية لمشروع النهضة الإسلامية** ، المؤتمر الدولي الرابع، نحو مشروع نهضوي اسلامي، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ

١- الفروق واضحة بين القرآن المكي الذي يركز على موضوعات العقيدة ويفصل الحديث عن قصص الأنبياء ويكثر من الترغيب والترهيب، والقرآن المدني الذي فيه الأمر بالقتال والحث عليه، وتفصيل الحديث عن التشريع وعن أهل الكتاب وكيفية التعامل معهم، والحديث عن المنافقين والتحذير من خطرهم وغير ذلك من الموضوعات؛ فكل آية مناسبة للواقع حال نزولها وإلى قيام الساعة.

٢- حين يعرض القرآن القصص لا يهتم بأسماء الأشخاص ولا الأماكن[٨٥]، وإنما يهتم بالعبرة والعظة من تلك القصص.)لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ([يوسف:١١١]، كما أن هذه القصص تتفق مع الإنسان في حقيقته وواقعه، ((...فلو عزلنا القصة الماضية – أي قصة – عن ذوات أصحابها، وأبقينا على حوادثها فقط، لو فعلنا ذلك لخيل إلينا أن القصة تقع في الزمن الحاضر، بل تتكرر في مختلف البيئات..))[٨٦].

٣- الأمثال المستخدمة في القرآن قريبة من ذهن الإنسان وواقع طبيعة الإنسانية: ((...فالقرآن لا يمثل بالغريب، وإنما يتخير من المحسوسات الموجودة، ويجليها بأوصافها، ويضعها في المثل مشاهدة واضحة على ما يريد ذكره وبيانه، وفي الممثل به لا يضع وصفًا زائدًا أو خياليًا لتكون صورته صادقة ملموسة، كذلك فإنه يتخذ من الطبيعة ميدانًا يقتبس منها صوره، فمن نباتها؛ الشجرة الطيبة والخبيثة، ومن حيواناتها؛ الحمار والكلب، ومن حشراتها؛ البعوض والعنكبوت، وما إلى ذلك...))[٨٧].

٤- في الآيات التي لها سبب نزول. والقاعدة تقول بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. بهذه القاعدة، نستفيد من تلك العبرة في الحوادث التي لها علاقة بسبب نزول الآية على مر الزمان.

٥- الواقعية العلمية في القرآن، ودليل ذلك أن كل حقيقة علمية وكونية ثابتة موافقة لما جاء به القرآن الكريم، قال تعالى:)سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ([فصلت:٥٣].

---

[85] انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٨٣٥.

[86] حجازي، محمد محمود، **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٣٠٧.

[87] غلوش، أحمد أحمد، **الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣٧١-٣٧٢.

المطلب الثالث: من أهداف مشروع النهضة من خلال ربانية المصدر وواقعية التطبيق وآثارها.

إن لكل مشروع أهداف يسعى لتحقيقها، ومشروع النهضة للأمة المسلمة يجب أن تكون أهدافه لا تخرج عن أمرين هما: ربانية المصدر، وواقعية التطبيق، ومن خلال هذه الأهداف نستطيع أن نضع الوسائل المناسبة للوصول إلى النهضة الهادفة للأمة، وأهم هذه الأهداف:

١- أن يكون غرض مشروع النهضة إعلاء كلمة الله وحكمه، قال تعالى:) وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ([التوبة:٤٠]،) إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ([يوسف:٤٠]؛ فإن أي مشروع للنهضة يعلي رأي البشر وهواهم – وهم طواغيت – سيؤدي إلى الظلم والفوضى والفساد في الأرض،) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ([الكهف:٢٨]،) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ([القصص:٥٠].

٢- أن يكون مشروع النهضة لتحقيق المصالح الإنسانية سواء للمسلمين أو غيرهم، قال الله تعالى:)وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ([الأنبياء:١٠٧].

٣- أن يكون مشروع النهضة امتثالاً لأمر الله واتباعًا لهدي نبيه (صلى الله عليه وسلم)، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ([النساء:٥٩] .

٤- أن يكون مشروع النهضة حافظًا للكون، بيئته ونباته وحيوانه، قال الله تعالى:)وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ([الأعراف:٧٤]،)ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ([الروم:٤١].

لربانية المصدر آثار بارزة في كافة المجالات والميادين، من أهمها:

❖ **النهضة العقائدية:**

كل عقائد الإسلام ليس فيها شيء غير واقعي، أما الأديان والفلسفات الوضعية والديانات المنحرفة فإنها لم تكن واقعية؛ لأنها لم تلب حاجات البشرية ولم تسعدها، والواقع يشهد بهذا.. إن العقيدة الإسلامية تراعي العنصر الروحي في الإنسان:) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ{٧١} فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ{٧٢} ([ص:٧١-٧٢]؛ حتى ينبعث في شعوره هدف وجوده في الكون، وتتجلى عزته وتكريمه على المخلوقات أخرى، وهذه العقيدة تعتمد على العلم

والعقل والفطرة بعد الاستهداء بالوحي الإلهي المعجزة الباقية إلى قيام الساعة، قال تعالى:)فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ([محمد:١٩].

وتوحيد الإله يتماشى مع الواقع وعقل الإنسان وفطرته؛ أما تعدد الآلهة فيجعل الإنسان يتصور في ذهنه التنافس والتناقض بينها، فلا يعقل وجود آلهة كلهم يتصفون بالجلال والكمال، قال الله تعالى:) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ([الأنبياء:٢٢] [٨٨].

وفي بشرية الرسول؛ وهذا هو الوضع الطبيعي، الذي لا يعقل غيره ولا يقبل سواه، إذ لا بد أن يكون من طبيعة المرسل إليهم حتى يتم التبليغ ويتحقق التأسي[٨٩].

والإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب ينسجم تمامًا مع منطق العقل، وواقع الفطرة؛ فمن الظلم البين التسوية بين المطيع والعاصي، والبر والفاجر، قال تعالى:) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ([ص:٢٨]،) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ([غافر:٥٨].

المبحث الثاني: الثبات والمرونة.

المطلب الأول: مفهوم الثبات والمرونة.

يمتاز مشروع النهضة في الرؤية القرآنية عن غيرها من المشروعات، بأنها جمعت بين الثبات والمرونة في تناسق مبدع، واضعة كل واحد منهما في موضعه الصحيح، فالثبات فيما يخلد ويبقى، والمرونة فيما يتطور ويتغير.

ويتجلى الثبات في (المصادر الأصلية النصية القطعية للتشريع)؛ فالقرآن هو الأصل والدستور، والسنة هي الشرح النظري والبيان العملي للقرآن، وكلاهما معصوم قطعًا في القرآن، وظنًا في السنة الصحيحة. وتتجلى المرونة في (المصادر الاجتهادية) التي اختلف فقهاء الأمة في مدى الاحتجاج بها؛ مثل الإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها. [٩٠]

والمتدبر للقرآن يجد أنه يفصل مجالات **الثبات** المذكور آنفًا تفصيلاً تامًا كاملاً، فلا يسع الإنسان إلا أن يخضع فيها، مثل قضايا العقائد الأساسية الستة، والأركان العملية الخمسة، وفي

---

[88] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ص١٢٧٧.

[89] انظر: الحياري، حسن، **التصور الإسلامي للوجود**، ط١، دار البشير، عمان، ١٩٨٩م، ص٥٢.

[90] القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، ص٢١٩.

المحرمات اليقينية، وفي أمهات الفضائل، وفي شرائع الإسلام القطعية، فالثوابت لا تخضع لزيادة أو نقص أو تحريف أو تبديل أو تعديل.

أما **المرونة** فإن القرآن لم يفصلها؛ لأنها متروكة لاجتهاد البشر على حسب ظروفهم، بشرط التقيد بالمبادئ والقواعد الثابتة التي حددها علماء الأصول، استنباطاً من القرآن والسنة؛ وعلى سبيل المثال: القضايا المتعلقة بجزئيات الأحكام وفروعها العملية، وخصوصًا في مجال السياسة الشرعية.[٩١]

ومن الثوابت ما يلي:

١- كل ما يتعلق بالإيمان بالله، وبعبودية المخلوقات لله، وأن الدين عند الله الإسلام، وأن الإنسان مخلوق مكرم مستخلف في الأرض، سخر الله له كل ما فيها، ليتمكن من عمارتها.

٢- المحرمات اليقينية من السحر والأمور التي يجب فيها الحد والقصاص، وأكل أموال الناس بالباطل، وغيرها مما ثبت بقطعي القرآن والسنة.

٣- أمهات الفضائل من الصدق والأمانة والعفة والصبر..، وغيرها من مكارم الأخلاق التي اعتبرها القرآن والسنة من شعب الإيمان.

٤- شرائع الإسلام القطعية في شؤون الزواج والطلاق والميراث ونحوها من نظم الإسلام التي ثبتت بنصوص قطعية الثبوت وقطعية الدلالة.[92]

أما المتغيرات، فما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانًا ومكانًا وحالاً، فهي كثيرة جدًا، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، وأمور الاستثنائات في الشريعة، والوسائل في تحقيق الأهداف، وغيرها الكثير.[٩٣]

المطلب الثاني: نماذج على الثبات والمرونة في القرآن.

يمكننا أن نفهم هذه الخصيصة من خلال عرضنا لبعض النماذج التطبيقية من نصوص القرآن، وهي كالتالي:

١- يتمثل مبدأ الثبات في قوله تعالى:(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ([آل عمران:٢٨]، ويتمثل مبدأ المرونة في الاستثناء من هذا الحكم عند الضرورة، إذ جاء في الآية نفسها:) إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً)، ويقصد به: إظهار الموالاة ظاهرًا عند الضرورة؛ لدفع ضرر عام أو خاص.

---

[91] الأمثلة التطبيقية كثيرة، راجع: القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**؛ وسيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**.

[92] انظر: القرضاوي، يوسف، **مدخل لمعرفة الإسلام**، ص ١٧٦-١٧٩.

[93] انظر: المصدر نفسه.

٢- يتمثل مبدأ الثبات في قوله تعالى:) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ([النحل:١٠٤]، ويتمثل مبدأ المرونة في الاستثناء من هذا الحكم عند الضرورة كما قال تعالى:) إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ([النحل:١٠٦].

٣- يتمثل مبدأ الثبات في قوله تعالى:) وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ([الشورى:٣٨]،)وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ([آل عمران:١٥٩]، فلا يجوز لحاكم ولا لمجتمع أن يلغي الشورى من حياتهم السياسية والاجتماعية. وتتمثل المرونة في عدم تحديد شكل معين للشورى؛ فالأمر متروك للمؤمنين في اختيار صورة الشورى التي تناسب حالهم وأوضاعهم، وتلائم موقعهم من التطور، دون أي قيد يلزمهم بشكل جامد.

٤- يتمثل مبدأ الثبات في قوله تعالى:)وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ([النساء:٥٨]،)وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ([المائدة:٤٩]؛ فأوجب التقيد بالعدل والالتزام بكل ما أنزل الله، والحذر من اتباع الأهواء. وكل هذا مما لا مجال للتساهل فيه، وتتمثل المرونة في عدم الالتزام بشكل معين للقضاء والتقاضي.

والخلاصة، نستطيع أن نحدد مجال الثبات والمرونة كالتالي:

- الثبات على الأهداف والغايات، والمرونة في الوسائل والأساليب.
- الثبات على الأصول والكليات غالبًا، والمرونة في الفروع والجزئيات غالبًا.
- الثبات على القيم الدينية والأخلاقية، والمرونة في الشؤون الدنيوية والعلمية.
- الثبات في المصادر والمبادئ والضوابط، والمرونة في التطبيق والوسائل. [٩٤]

المطلب الثالث: آثار الثبات والمرونة في نجاح مشروع النهضة.

هذه الخاصية حقيقة مستمدة من الخاصية السابقة؛ وبها سيكون مشروع النهضة حيويًا ومناسبًا لظروف الأمة ولفطرة الإنسان وفطرة الوجود، والحاصل: يستطيع المجتمع المسلم أن يعيش ويستمر ويرتقي، ثابتًا على أصوله وقيمه وغاياته، متطورًا في معارفه وأساليبه وأدواته؛ فالثبات يمنعها من الميوعة والذوبان، أما المرونة فتجعلها تستجيب لكل مستجدات العصر واحتياجات البشر.

ولعل أدل الآيات القرآنية على الجمع بين الثبات والمرونة فيما يتعلق بمشروع النهضة، الآيات التي تتحدث عن **الحكمة**، منها قوله تعالى:) ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

---

[94] القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، ص٢١٦-٢١٧.

الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ([النحل:١٢٥]، قال ابن عاشور: ((...ولذلك عرّفوا الحكمة بأنها: معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية، بحيث لا تلتبس على صاحبها الحقائق المتشابهة بعضها ببعض، ولا تخطئ في العلل والأسباب. وهي اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمراً لا يتغيّر...))[٩٥].

وفي موضع آخر يقول: ((...وقد ذكر الله الحكمة في مواضع كثيرة من كتابه مراداً بها ما فيه صلاح النفوس، من النبوءة والهدى والإرشاد. وقد كانت الحكمة تطلق عند العرب على الأقوال التي فيها إيقاظ للنفس ووصاية بالخير، وإخبار بتجارب السعادة والشقاوة، وكليات جامعة لجماع الآداب..، وذكر الله تعالى في كتابه حكمة لقمان ووصاياه في قوله تعالى: {ولقد آتينا لقمان الحكمة } [لقمان: ١٢] الآيات...))[٩٦].

إن الثوابت شأنها واضح؛ لأن القرآن قد فصلها تفصيلاً تامًا، ولكن المتغيرات لا بد لها من الحكمة؛ حتى يحدث الانسجام بين هذه الضوابط والواقع الملموس للوصول إلى أنسب النتائج في نيل النجاح في مشروع النهضة. فالقائمون بمشروع النهضة القرآني يحتاجون إلى إعمال عقولهم ليكتسبوا الحكمة.

ونحن حين نميز النهضة في الرؤية القرآنية بهذه الخاصية، فإننا بهذا نعترف أن الدين هو الحل لكل قضايا البشرية في كل نواحيها؛ تصديقا لقوله تعالى:) قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ([الأنعام:١٦١]، يقول ابن عاشور: ((...والأحسن أن نجعل قيما للمبالغة في القيام بالأمر، وهو مرادف القيّوم، فيستعار القيام للكفاية بما يحتاج إليه والوفاء بما فيه صلاح المقوّم عليه؛ فالإسلام قيّم بالأمّة وحاجتها، يقال: فلان قيّم على كذا، بمعنى: مدبّر له ومصلح...))[٩٧] ؛ والدين قيم على غيره على مر الزمان والعصور؛ لأنه يتعامل مع بني البشر كلهم بمبدأ الجمع بين الثبات والمرونة.

أما مشروعات النهضة التي لا تعتمد على القرآن الكريم فستفشل، وإن نجحت، فهو نجاح مؤقت؛ لأنه يتناقض مع سنن الله الكونية الذي تمشي بمبدأ الجمع بين الثبات والمرونة.

فالنهضة الحقيقية إذًا؛ أن نتفهم جيدًا ما يجب أن يتطور من شؤون الحياة وفق الفطرة البشرية والسنن الكونية، فنبذل جهودنا لتطويره وتحسينه، بمنطق الحكماء الشجعان، لا الأغرار المقلدين، وكذلك أن نعرف ما يجب أن يبقى ثابتًا راسخًا من القيم والأفكار والعقائد والأخلاق

---

[95] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٢٦٣.
[96] المصدر نفسه، ج٢، ص٥٣٣.
[97] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص١٤٨.

والآداب والشرائع، وبهذا الموقف الحكيم نواجه مشروع النهضة ونوجهه، فنفوز بالحسنيين؛ ونربح الدنيا ولا نخسر الدين، ونظفر برضوان الله وإعجاب العقلاء من الناس.[٩٨]

المبحث الثالث: العالمية والخلود.

ناقشنا في المبحث السابق خاصية "الجمع بين الثبات والمرونة" في مشروع النهضة القرآني، وأنها تتوافق مع الفطرة الإنسانية والسنن الكونية، مما يؤدي إلى عالميته وخلوده.

إن مفهوم العالمية والخلود في مشروع النهضة القرآني أنها مشروع عالمي لا ينفرد بها شعب أو مجتمع بعينه، ولا يختص ببلد معينة، بل هو مشروع ذو قوانين عامة تسري على الأفراد على اختلافهم من الجنس والوطن واللسان، ولا يعترف بأية فواصل وتحديدات جنسية أو إقليمية أو زمنية، فهو مشروع عام لا تحده حدود مكانية ولا زمانية، مستمر لا ينقطع حتى قيام الساعة.[٩٩]

تتجلى ملامح العالمية والخلود في الوجوه التالية:

الوجه الأول: نص صريح، فيه كلمة "العالمين" أو "جميعًا" أو ما يدل عليهما.

بين القرآن لنا عن عالميته منذ البداية بقوله تعالى:) تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ([الفرقان:١]، وهذه الآية ترسم الغاية من تنزيل القرآن على النبي (صلى الله عليه وسلم) "ليكون للعلمين نذيرًا"، وهذا النص مكي، وله دلالته على إثبات عالمية الرسالة منذ أيامها الأولى، فهي منذ نشأتها رسالة للعالمين، طبيعتها طبيعة عالمية شاملة[١٠٠]، وذكر الإمام الرازي في تفسيره أن العالمين، بمعنى: كل ما سوى الله تعالى من المخلوقات، فيتناول جميع الثقلين، من الجن والإنس، وقد دلت هذه الآية على أنه رسول للخلق أجمعين في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة[١٠١].

وقال تعالى:)قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا([الأعراف:١٥٨].وهذا خطاب من الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) أن يقول للناس جميعًا حتى قيام الساعة: "إني رسول الله إليكم جميعا"، وهذا من شرفه (صلى الله عليه وسلم)، أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة[١٠٢]، كما في قوله تعالى:)وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ([سبأ:٢٨].

---

[98] القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، ص٢٥٨.

[99] انظر: أبو يحيى، محمد مع مجموعة من المؤلفين، **الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر**، ط٧، دار المناهج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص١٣٥ وما بعدها.

[100] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٥٤٨.

[101] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٤، ص٤٠.

[102] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٤٨٩.

الوجه الثاني: العالمية في الدعوة والتبليغ.

قال تعالى:)وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ([آل عمران:٨٥]، هذه الآية تدل على أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله، وأن أي دين غيره من أي أحد من العالمين لا يقبل عند الله..

وجاءت نداءات القرآن خالية من أي نزعة أو طابع عنصري أو إقليمي أو طبقي، فهي إما موجهة إلى الناس كافة، كما في: "يأيها الناس" ؛ "يأيها الإنسان" ؛ "يبني ءادم"...؛ أو تأتي موجهة إلى أهل الأديان السابقة من اليهود والنصارى، فاختار الله لخطابهم صيغة تؤنسهم وتوقظهم، وهي "يأهل الكتب"...؛ أو موجهة للذين آمنوا كما في "يأيها الذين آمنوا" عامة لكل مؤمن.

وقد وصف الله تعالى إرسال محمد (صلى الله عليه وسلم) بأنه رحمة للعلمين:) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ([الأنبياء:١٠٧]، قال الصابوني: ((...لم يقل الله تعالى رحمة للمؤمنين وإنما قال (رحمة للعالمين)؛ فإنه تعالى رحم الخلق بإرسال سيد المرسلين (صلى الله عليه وسلم)؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الأولى والآخرة، وعلمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلال فكان رحمة للعالمين...))[١٠٣]، وهكذا فرسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يكن إقليميًا ولا ابن بيئته فحسب.

الوجه الثالث: خطابات القرآن ونداءاته العامة.

إن القرآن الكريم كثيراً ما يوجه خطاباته إلى الناس غير مقيدة بشيء، وهذا دليل واضح على أن خطاباته وتوجيهاته تعم الناس كافة، وأمثلة ذلك: قوله تعالى:)يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ([البقرة:١٦٨]، وقوله تعالى:)يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ([البقرة:٢١]، وغيرها من الآيات كثير؛ فهو يخاطب الناس جميعًا بقوله "يا أيها الناس"، ولم يقل "يا أيها العرب".

الوجه الرابع: نهى القرآن عن التفرقة.

قال تعالى:)وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا([آل عمران:١٠٣]، حيث علمنا القرآن مبدأ التعارف؛ لكي نبتعد عن التفرقة قائلاً:)يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ([الحجرات:١٣].

---

[103] الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م، ج٢، ص٦٩٥.

الوجه الخامس: التأمل والتدبر في بعض القضايا، مثل:

١- قضية هيمنة القرآن، قال الله تعالى:) وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ ([المائدة:٤٨]، إن تصديق القرآن للكتب السابقة، هو: شهادته لها في النسخة الأصلية منها؛ هيمنة القرآن عليها، بمعنى: شهادته عليها بأنها كلمة الله إلى البشر، وهم الذين حرفوها، وهذه القضية ليست إلا إشارة إلى عالمية القرآن وخلوده.

٢- قضية إشهاد الأمم على الإسلام؛ قال الله تعالى:)فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا([النساء:٤١]،)وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا([البقرة:١٤٣]، إن هذه الآية عظيمة الدلالات فيما نحن بصدده؛ لأنها تؤكد عالمية الإسلام من إشهاد المسلمين على العالم.

٣- تكفل الله بحفظ القرآن، قال الله تعالى:) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ([الحجر:٩] ؛ فطالما هذه النهضة مستمدة من هدي القرآني، فسيبقى هذا المشروع مستمرا بخلودية القرآن.

٤- المتأمل للخطاب الإلهي في القرآن الكريم يرى أنه جاء موجهًا للناس كافة، فأول آية فيه بعد البسملة) الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ([الفاتحة:٢]، وآخر سورة فيه) قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ([الناس:١]، وإذا كان القرآن موجها للناس كافة، فهو يدل على أن النهضة القرآنية كذلك لا بد أن تستوعب في مشروعها كل الشعوب، بغض النظر عن جنسياتهم وأحوالهم الدنيوية، ونحن حين نقول بعالمية مشروع النهضة، يتصور في أذهاننا مشروع بلا حدود، فلا يوجد ما يمنعنا من النهوض لتحقيقه كخلفاء في الأرض.

آثار هذه العالمية والخلود في نجاح النهضة.

أهم هذه الآثار هي:

١- تقوية الهمم والعزائم في تنفيذ مشروع النهضة.

٢- استشعار المعية والوحدة والحب لدى المصلحين في مشروع النهضة في كل أنحاء العالم قدمائهم ومعاصريهم.

٣- الحث والتشجيع على تبليغ الرسالة الإسلامية والدعوة.

٤- استشعار أن المسلمين كلهم يعيشون في بقعة واحدة هي الأرض، بدون حواجز أو فوارق بينهم.

٥- استشعار وحدة المسلمين.

المبحث الرابع: الشمول في الفكر والتوازن في التطبيق.

المطلب الأول: مفهوم الشمولية والتوازن والعلاقة بينهما.

إن معنى الشمول في مشروع النهضة أنه يستوعب في أفكاره كل العناصر: الدين والكون والحياة والإنسان، على أن يكون بين هذه العناصر التوازن أو التوسط.

أما التوازن، فهو يعني: التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، حيث لا ينفرد أحدهما في التأثير دون الآخر، فلا يأخذ أحدهما أكثر من حقه.

ومثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الروحية والمادية، الفردية والجماعة، الواقعية والمثالية، الثبات والتغير، وما إلى ذلك.

ومعنى التوازن بينها: أن يفسح لكل طرف منها مجاله، ويعطي (بالقسط) أو (بالقسطاس المستقيم) بدون إفراط أو تفريط، أو غلو أو تقصير، أو طغيان أو إخسار، أو شطط أو وكس. ودليل ذلك قوله تعالى:) وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ{٧} أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ{٨} ([الرحمن:٧-٩]، وقوله تعالى:) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ([البقرة:١٤٣][104]، وكذلك في قوله تعالى:)لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ([الحديد:٢٥]، وكأن هذا الوحي بلا ميزان ينزل به قد ننحرف نحن عنه.

قال الأستاذ سيد قطب: ((...{ والميزان }.. مع الكتاب؛ فكل الرسالات جاءت لتقر في الأرض وفي حياة الناس ميزاناً ثابتاً ترجع إليه البشرية؛ لتقويم الأعمال والأحداث والأشياء والرجال؛ وتقيم عليه حياتها في مأمن من اضطراب الأهواء واختلاف الأمزجة، وتصادم المصالح والمنافع، ميزاناً لا يحابي أحداً؛ لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع، ولا يحيف على أحد؛ لأن الله رب الجميع. هذا الميزان الذي أنزله الله في الرسالة هو الضمان الوحيد للبشرية من العواصف الزلازل والاضطرابات والخلخلة التي تحيق بها في معترك الأهواء ومضطرب العواطف، ومصطحب المنافسة وحب الذات، فلا بد من ميزان ثابت يثوب إليه البشر، فيجدون عنده الحق والعدل والنصفة بلا محاباة. { ليقوم الناس بالقسط }: فبغير هذا الميزان الإلهي الثابت

---

[104] انظر: القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، ص١٢٧.

في منهج الله وشريعته لا يهتدي الناس إلى العدل، وإن اهتدوا إليه لم يثبت في أيديهم ميزانه، وهي تضطرب في مهب الجهالات والأهواء!...))[١٠٥].

وعلى سبيل المثال: التوازن بين مجال المشيئة الإلهية الطليقة وبين مجال المشيئة الإنسانية المحدودة[١٠٦].

المطلب الثاني: دور الإنسان في تحقيق التوازن من خلال عناصر الشمول الأربعة: (الدين – الكون – الحياة – الإنسان)[١٠٧]

١ – الدين

إن الدين يشمل العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريعات؛ فالإنسان مأمور أن يخضع لله في الدين – دين الإسلام – في كافة مجالاته؛ لقوله تعالى:) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ([البقرة:٢٠٨]، ولقد حذر الله تحذيرًا شديدًا من تبعيض أحكام الإسلام.) وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ([المائدة:٤٩]، كما أنكر القرآن على الذين يبتغون غير الله حكمًا، ويبتغون غير منهج الله منهاجًا، مع أن فيه حكم كل شيء، وتفصيل كل شيء:) أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ([الأنعام:١١٤].

وجدير بالذكر أن العلاقة بين الدين والإنسان علاقة ترابطية تكاملية شمولية؛ لأن الدين مع أجزائه منسجم مع فطرة الإنسان وكيانه؛ فالعقيدة مثلا؛ نجدها تعتمد في ثبوتها على الفكر والشعور معًا، أو العقل والقلب جميعًا، باعتبارهما أداتين متكاملتين من أدوات المعرفة الإنسانية والوعي الإنساني.

فالعقيدة والإنسان ركنان لا غنى عنهما لقيام أية حضارة، العقيدة تمثل حافزًا دافعًا للإنسان، ومنظمًا لسلوكه وحياته، وقانونًا ربانيًا يحميه من مزالق الخطأ، ويرشده إلى الصواب. أما الركن الثاني وهو الإنسان، فهو المكلف بعمارة الأرض، بعد أن من عليه الخالق المتعالى بجعله خليفة عليها.

---

[105] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٤٩٤.

[106] لمزيد من الأمثلة راجع: سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ص١٤١-١٤٥.

[107] راجع: مالك بن نبي، شروط النهضة، ط٤، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٧م، ص٨١ وما بعدها.

إلى جانب هذين الركنين الأساسيين، توجد عوامل أخري تسهم في تشكيل مشروع النهضة والحضارة القرآنية، بجانبيها الروحي والمادي، بحيث يتحقق توازن بين الجانبين، وهو المقصود من القصص القرآني التاريخي والذي حكى عن الحضارات السابقة، وما وصلت إليه من رقي وتمدن، موضحا العوامل التي ساعدتها علي بلوغ ما بلغته، وتلك التي أدت إلي اندثارها.[١٠٨]

والعبادة تستوعب الكيان البشري كله، فالمسلم يعبد الله بلسانه ذاكرًا وداعيًا وتاليًا، وببدنه مصليًا وصائمًا ومجاهدًا، وبقلبه خائفًا وراجيًا ومحبًا ومتوكلاً، وبعقله متفكرًا متأملاً، وبحواسه كلها مستعملاً لها في طاعته سبحانه.

والأخلاق لم تدع جانبًا من جوانب الحياة الإنسانية روحية أو جسمية، دينية أو دنيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو اجتماعية؛ إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع.[١٠٩]

٢- الكون

إن الكون يشمل كل موجود إلا خالق الوجود، من الأرض والسماوات وما بينهما، ومن الليل والنهار، ومن النباتات والحيوانات، ومن الجبال والأنهار والبحار، ومن الأمطار والزلازل، ومن المعادن داخل الأرض وآفاق النجوم فوق السماوات وما إلى ذلك، قال تعالى:) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ([الأنعام:١٠٢]،)يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ([فاطر:٣]،) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ([الزمر:٦٢]،)أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ([الواقعة:٥٩] ؛ فالإنسان المتوازن في نهضته يعرف مدى تعامله مع الكون فلا يتجاوز الحدود، إنه يجعل الكون بكل مفرداته مجالا في الأخذ بالأسباب مع أن تعلق قلبه دائما مع خالق الكون. [١١٠]

٣- الحياة

أما الحياة فتشمل حياة الدنيا وحياة الآخرة:) وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ([العنكبوت:٦٤] ؛ فالحياة الدنيا في الإسلام لا قيمة لها، إن كانت مقطوعة عن الآخرة، ولكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أنها لا قيمة لها مطلقا، فهذا

---

[108] أسامة الألفى، **عوامل قيام الحضارات وانهيارها في القرآن الكريم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٥-٢٦.

[109] انظر: القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، ص١١٣-١١٧.

[110] انظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، ط٣، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٨١ وما بعدها.

غير جائز في الإسلام. فقد خلق الله تعالى الحياة لغاية عمارة الأرض والخلافة فيها ولم يخلقها عبثًا، والحياة الدنيا هي الطريق الأوحد إلى الآخرة؛ فهي تستمد قيمتها من ما تؤدي إليه من هدف سام هي الحياة الآخرة.

ومن هنا يشعر المسلم بأن عمارة الأرض والخلافة فيها هي مسؤوليته، فلا يكون الزهد في الدنيا بصرف النظر عنها وتحريم زينتها، قال تعالى:) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ([الأعراف:٣٢]،) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ{٨٧} وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ{٨٨} ([المائدة:٨٧-٨٨].

بل يكون الزهد بإعطائها القيمة التي تستحق باعتبارها الطريق المؤدية إلى الحياة الآخرة، فهي تابعة للآخرة وليست متبوعة لها، قال تعالى:) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ([القصص:٧٧][١١١].

٤- الإنسان

الإنسان مكون من المادة والروح، ومن العقل والجسد والقلب والشعور والحواس واللسان؛ وما إلى ذلك، قال تعالى:) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ([ص:٧٢]،) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ([السجدة:٩]، ويحقق الإسلام توازنًا بين المكون الجسدي والمكون الروحي، فلا يهمل الجسد على حساب الروح، ولا يهمل الروح على حساب الجسد، وقد أكد الإسلام ضرورة الاهتمام بالجسد حتى يتمكن المسلم من أداء العبادات، لا بل قدم صحة الجسد على صحة الدين، وقد أقر الفقهاء بأن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان.[١١٢]

وفي الإنسان جانب نفسي، وجانب فكري، وجانب سلوكي، فحينما ينمو جانب من هذه الجوانب نمواً زائداً عن حده الطبيعي، يكون هذا عادة على حساب الجوانب الأخرى عندئذ يكون التطرف، أما حينما تنمو الجوانب الثلاثة نمواً طبيعياً متوازناً بحيث لا يطغى جانب على جانب عندئذ يكون التفوق، فنحن نتطلع إلى التفوق لا إلى التطرف.[١١٣]

---

[111] انظر: القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، ص١١٣-١١٧.
[112] راجع: نجاتي، **القرآن وعلم النفس**، ص٢٢٣-٢٣٧.
[113] انظر: التل، **الشخصية من منظور نفسي إسلامي**، ص٨٣.

كل هذه العناصر – الدين والكون والحياة والإنسان – دخلت ضمن شمولية الفكرة في مشروع النهضة القرآني؛ لأن القرآن هو رسالة شاملة لكل شيء يخطر في بال الإنسان، وهو رسالة معالجة لكل مشاكلات الحياة، وهذه العناصر كلها بشمولياتها وتوازنها إنما منبعث توازنها من الإنسان؛ لأنه حلقة الوصل بينها جميعا.

فالنهضة في الرؤية القرآنية لا تدع الإنسان وحده في أي طريق يسلكه، وفي أي نشاط يقوم به؛ ماديًا كان أو روحيًا، فرديًا أو اجتماعيًا، فكريًا أو عمليًا، دينيًا أو سياسيًا، اقتصاديًا أو أخلاقيًا دون إرشاد رباني، قال الله تعالى:) وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ([النحل:٨٩] [١١٤]، ((...أي: ما تركنا في الكتاب شيئًا، ما من ضروب الهداية التي ترسل الرسل لأجلها إلا وقد بيناه فيه، وهي أصول الدين وقواعده وأحكامه، والإرشاد إلى استعمال القوى البدنية والعقلية في الاستفادة من تسخير الله كل شيء للإنسان، ومراعاة سننه تعالى في خلقه، التي يتم بها الكمال المدني والعقلي؛ فالقرآن قد بين ذلك كله بالنص أو الفحوى، ومنه ما أرشد إليه هنا في علم الحيوان الذي يهدي إلى كمال المعرفة والإيمان...)) [١١٥].

والنتيجة التي نصل إليها هنا هي أن التقدم في الإسلام له مفهوم جامع، وشامل متوازن، مادي ومعنوي، وليس تقدمًا ماديًا خالصًا، والنجاح المادي يقرره الإسلام ويرتضيه، ولكنه لا يراه غاية في ذاته، وهذه النظرة الشمولية للإنسان تحقق أمرين في وقت واحد؛ الأول: استغلال طاقة الإنسان كلها، فلا تهدر منها طاقة واحدة يمكن أن ينتفع بها الإنسان في عمارة الأرض. والثاني: إن استغلال هذه الطاقات مجتمعة يحدث توازنًا داخل النفس وواقع الحياة، وتوازنًا بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح، وتوازنًا بين ماديات الإنسان ومعنوياته، وتوازنًا بين ضرورياته وأشواقه، وتوازنًا بين الحياة في الواقع والحياة في الخيال، وتوازنًا بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس، وتوازنًا بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية، توازنًا في كل شيء، فالإسلام يوازن بين مصالح الدنيا والآخرة ويجمع بينها، قال تعالى:)وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ([القصص:٧٧] [١١٦].

---

[114] انظر: سيد قطب، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ص١٠٩.

[115] رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٧، ص٣٣٠.

[116] ينظر: قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، ط٦، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٩-٣٠؛ وينظر: النشمي، عجيل جاسم، **معالم في التربية**، مكتبة المنار الإسلامية، كويت، ١٩٨٠م، ص١٤٧.

آثار الشمولية المتوازنة في النهضة.

١- إن هذه النهضة نهضة موافقة لفطرة الناس ملائمة باستطاعة الإنسان.

٢- إنها نهضة النشاط وليس التكاسل.

٣- فيها ضمان للحقوق أو التكافؤ بين الحقوق والواجبات.

٤- فلن يتأتى أثرا سلبيا حين تصل إلى التقدم والتطور والتحضر.

٥- إنها محفوظ عن كل آفات وعناصر الخراب.

٦- إنها مؤدية إلى دوام النجاح في النهوض مع سهولة تحقيق المصلحة الإنسانية.

المبحث الخامس: الإيجابية والدافعية

إن المقصود بعنوان البحث: إبراز أثر الإيجابية والدافعية في مشروع النهضة. فيتكون هذا المبحث من مطلبين؛ الأول: مفهوم الإيجابية والدافعية، والثاني: منهج القرآن في بناء الإيجابية.

المطلب الأول: مفهوم الإيجابية والدافعية.

إن الإيجابية مصطلح جديد، لغة فلو افترضنا نظريا أنها من جذر كلمة **وجب**، يقال: أوجب الشيء، أي: جعله لزامًا، وجب الشيء، أي: لزم، يجب وجوبًا، وأوجبه الله، واستوجبه، أي: استحقه، وأوجب البيع فوجب[١١٧]. والإيجاب: الإثبات لأي شيء كان[١١٨]، وهو ضد النفي والرفض، ويقال: الإيجابي ضد السلبي وهو الثابت المحقق[١١٩].

أما لو افترضنا أنها مأخوذة من **جوب**؛ فيكون فعلها أجاب: يجيب إجابة، بمعنى لبى وأطاع في سرعة وبلا تردد، ومصدر الفعل أجاب: إجابة ومجاوبة. يقال: جوب جاوب يجاوب إجابة، فهو رجل إيجابي، ومنها اسم الله **المجيب** قال الله تعالى:) أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ([النمل:٦٢]،) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ([الأحقاف:٣١]،) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ([الشورى:٤٧]،) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ

---

[117] انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار)، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ج١، ص٢٣٢.

[118] انظر: سعدي، أبو حبيب، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، ط١، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٨٢م، ص٣٢٧.

[119] انظر: ابن الحاج يحيى، الجيلاني وآخرون، **القاموس الجديد الألفبائي**، دار الأطلسية، دار الأهلية، تونس، ص١١٣.

اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤]. والراجح هو التعريف الثاني، والله أعلم.

فالإيجابية: الاستجابة والتلبية، والطاعة والمسارعة إلى الخير[١٢٠].

ومن خلال العرض اللغوي، يتبين لنا أمران في معنى الإيجابية: الإلزام والتلبية السريعة، وبناء عليهما تكون الإيجابية اصطلاحا: سرعة استجابة المؤمن لأوامر الله تعالى ونواهيه، تطبيقًا وتركًا في ثبات ومضي بحزم وعزم؛ تحقيقًا لمفهوم النهضة في المجتمع.

أما الدافعية، فهي من ضمن مفهوم الإيجابية.

ونجد هذا التعريف مطبقًا بأسسه وفروعه ونتائجه في قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ{٥٧} وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ{٥٨} وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ{٥٩} وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ{٦٠} أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ{٦١}﴾[المؤمنون:٥٧-٦١]، ففي الآية أربع صفات للمؤمنين، وهي تشير إلى استجابتهم لأوامر الله ونواهيه:

١- الصفة الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز عما لا ينبغي.

٢- الصفة الثانية دلت على كمال الإيمان وثبات العقيدة.

٣- الصفة الثالثة دلت على ترك الرياء في الطاعات.

٤- والصفة الرابعة دلت على أن المستجمع لتلك الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات مع الوجل والخوف من التقصير.[١٢١]

ثم بعد ذكر هذه الصفات كأساس للإيجابية، ذكرالله حال الدافعين المسارعين في الخيرات، كما في التعريف. وفيه وجهان: أحدهما: أن المراد أنهم يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها؛ لئلا تفوت عن وقتها، والثاني: أنهم يتعجلون في الدنيا أنواع النفع ووجوه الإكرام.[١٢٢]

ويمكن أن نقول بأن سر التعبير بـ(في) – في قوله "يسارعون في الخيرات"– دون (إلى) كأنهم بدأوا فعلاً في فعل الخيرات، ثم يسارعون في إنجاز هذا العمل وتكثيره.

---

[120] انظر: والي، حمدي، **الإسلام والتحدي الحضاري**، ط١، مؤسسة شروق للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ٢٠٠٧م، ص١٠١، ١١٩.

[121] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٣، ص٩٣ وما بعدها.

[122] انظر: الزمخشري، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ص٧١٠.

المطلب الثاني: منهج القرآن في بناء الإيجابية والدافعية:

يرتكز منهج القرآن في بناء الإيجابية والدافعية على الأسس التالية:

١- تقوية الإيمان

الإيمان قوة روحية، تدفع المجتمع نحو أداء رسالته النهضوية والحضارية، وليس ادعاء مجردًا، وتظهر قيمته ما ظهر من خلال تدبر الإنسان لآيات القرآن، مثل قوله تعالى:) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ([الأعراف:٩٦]، ((...المعنى في هذه الآية: أنهم لو كانوا ممن سبق في علم الله أن يكتسبوا الإيمان والطاعات، ويتصفوا بالتقى، لتبع ذلك من فضل الله ورحمته وإنعامه ما ذكر من بركات المطر والنبات، ولكنهم لما كانوا ممن سبق كفرهم وتكذيبهم تبع ذلك أَخْذُ الله لهم بسوء ما اجترموه، وكل مقدور، والثواب والعقاب متعلق بكسب البشر، وبسببه استندت الأفعال إليهم في قوله: { آمنوا واتقوا } وفي { كذبوا }...))[١٢٣].

أعطتنا هذه الآيات قيمة إيمانية تؤدي إلى الإيجابية، حتى يشعر الإنسان بالعزة حين يحمل مسؤولية إيمانه بالله وحده.

وإن المسلمين في هذا العصر لا ينقصهم الإيمان بدينهم، فهم بلا شك مقتنعون بأن دينهم حق، ومن يحاول أن يقنع المسلمين في هذا الجانب فإنما يضيع وقته، ولكن الذي ينقصهم هو الاقتناع بأن لهم رسالة يقتضيها ويتطلبها هذا الإيمان، وبذلك أصبح الإيمان عندهم مجرد عقيدة باردة ليس لها أي بعد نهضوي في شتى نواحي الحياة[١٢٤].

٢- توجيه لحسن الاقتداء.

وذلك بتدبر الفرق بين التقليد الأعمى والاقتداء بقدوة حسنة، سواء من قصص القرآن أو أمثال القرآن، قال ابن قيم الجوزية: "التقليد ثلاثة أنواع؛ أحدها: الإعراض عما أنزل الله، وعدم الالتفات إليه، اكتفاء بتقليد الآباء؛ والثاني: تقليد من لا يعلم أنه أهل لأن يؤخذ بقوله؛ والثالث: التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قول المقلد[١٢٥].

---

[123] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ص٧٢٧.

[124] انظر: باطاهر، ابن عيسى، **فاعلية المسلم المعاصر رؤية في الواقع والطموح**، ط١، دار البيارق، بيروت، ص٩٦.

[125] ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، مؤسسة جواد للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٨٠م، ج٢، ص٢٠٢.

وهناك فرق شاسع بين التقليد والاقتداء[١٢٦]؛ أما التقليد فمذموم شرعا، لأنه من الظواهر السلبية في الحياة الفكرية للأمة، لعدم اعتماده على العلم والعقل، وقد ذمه القرآن الكريم وعبر عنه باتباع الآباء، أو من لهم رأي أو سلطة دون دليل أو برهان.

ولعل أوضح آية في بيان هذه المسألة، قوله تعالى:) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ([لقمان:٢١]، يفهم منها أن اتباع ما أنزل الله يعني الاستهداء بالقرآن الكريم، وهو المصدر في كل علم، ثم قوله تعالى "نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا" يشير إلى أن هذا الاتباع اتباع بالجهل، من دون العلم ولا الهدى؛ لأنهم يتبعون أفعال آبائهم حيث ما وجدوهم، بدون أن يتدبروا ماهية تلك الأفعال، أهي تليق بالاتباع أم ليست كذلك.[١٢٧]

أما الاقتداء فممدوح؛ لأنه يعتمد على العلم والتعليم وإعمال العقل، حتى يحصل على الدليل الواضح والبراهين القانعة، وهذا من الظواهر الإيجابية في الحياة الفكرية للأمة، قال الله تعالى:) وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ([الأنعام:١٥٥]، ((...والفاء في قوله تعالى:: فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها، فان عظم شأن الكتاب في نفسه وصفته موجب لاتباعه، أي: فاعملوا بما فيه، وامتثلوا أوامره واتقوا مخالفته أو نواهيه لعلكم ترحمون...))[١٢٨]، ومن طريقة القرآن الكريم في الحث على الاقتداء إبراز النموذج الإيجابي وضرب الأمثال.

وإبراز النماذج والقدوات أسلوب تربوي عني به القرآن الكريم، فيأمر القرآن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر، ويعطيه النموذج الإيجابي ليتأسى به، فيقول تعالى:) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ([الأحقاف:٣٥] ، وحين تحدث القرآن عما أصاب النبي (صلى الله عليه وسلم) من تكذيب وصد، ذكّره بما أصاب إخوانه الأنبياء السابقين فقال:)وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ([الأنعام:٣٤].

والقرآن الكريم كان يضرب الأمثال بالشخصيات المؤمنة، ويجعلها نماذج صالحة للقدوة، فقد ذكر وصية سيدنا لقمان لابنه، ليكون قدوة لغيره من المسلمين، قال تعالى:) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ([لقمان:١٧]،

---

[126] انظر: نجاتي، **القرآن وعلم النفس**، ص١٦١-١٦٤.
[127] انظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٠، ص١٢٧.
[128] انظر: المصدر نفسه، ج٤، ص٤٢١.

وهذه الآيات تعلم وتربي المسلم على طاعة الله تعالى في كل أمر أمرنا به، والابتعاد عن كل أمر نهانا عنه.[١٢٩]

٣- تحذير المسلم من الأخلاق السيئة.

ذكر القرآن الكريم صفاتا سيئة لا بد للإنسان أن يتخلص منها؛ حتى يكون إيجابيا في سلوكه وأخلاقه. قال تعالى:)وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً([النساء:٢٨]،)وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ([هود:٩]،)إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ([إبراهيم:٣٤]) إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ([الإسراء:١١]،)وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُوراً([الإسراء:١٠٠]،) وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً([الكهف:٥٤]،) إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ([الأحزاب:٧٢]،) لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ ([فصلت:٤٩]،) إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ([المعارج:١٩]، فالقرآن الكريم يُركّز على عدد من الصفات السيئة الموجودة في الإنسان، وأهمها أنه: ضعيف – سريع اليأس – ظالم لنفسه – ظالم لغيره – قليل الخير – كثير المجادلة – جاهل – ضعيف التوكل على الله – مُتعجِّلا في كل شيء.

والمقصود بذكر هذه الصفات أن يعرف الإنسان عيوبه، ويجتهد في التخلص منها، والله بالقرآن يربي المؤمنين إلى التطلع لأعلى المقامات، قال تعالى:) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ([الفرقان:٧٤]، لقد قال تعالى: "واجعلنا للمتقين إماما"، ولم يقل "واجعلنا من المتقين" ؛ لأنه يريد أن يربينا على الهمة العالية، لا أن نكون من المتقين فقط، بل أن نكون أئمة للمتقين.[١٣٠]

٤- قوة الإرادة.

إن الإيجابية مرهونة بقوة الإرادة عند الإنسان، والإنسان طالما يملك إرادة فهو يملك نجاحًا في حياته، ويكون قادرًا على أن يتحكم بسلوكه وأفعاله واتجاهاته، وتوجيه أهدافه وغاياته، ويأتي الجهد والسعي بعد تمام الإرادة في القلب، قال الله تعالى:)وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ([الإسراء:١٩]، ((...قال بعض السلف: من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب، وتلا الآية فإنه شرط فيها ثلاث شرائط في كون السعى مشكورًا: إرادة الآخرة، والسعى فيما كلف، والإيمان الثابت...))[١٣١]

وقال الله تعالى:) وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

---

[129] راجع: الآلوسي، **روح المعاني**، ج١١، ص١٢٠-١٢١.

[130] انظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج٥، ص٢٧.

[131] النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج٢، ص٤٤٨.

وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ([الأنفال:٦٠]، وقال تعالى:)إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ([البقرة:٢١٨]، وقال تعالى:)إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ([الحجرات:١٥]، وهذه المجموعة من الآيات الكريمة تدل على أن قوة مستوى التدين تؤدي لقوة الإرادة، وتفعيل دور الجهاد عند المسلمين، وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإنسان الذي يفقد مستوى التدين يفقد الحافز على العمل.

٥- التدبر في أسماء الله الحسنى وصفاته.

من وسائل تقوية الإيمان في قلب العبد، حياة العبد في ظلال أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، قال الله تعالى:)اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى([طه:٨]،)هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ([الحشر:٢٤]، فعلى سبيل المثال، حين نتدبر اسم الله "الرحيم") وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ([الأعراف:١٥٦]، فإننا نسارع في التخلق بهذه الصفة، مع العلم بأن الرحيم من الناس ليس مثل الله تعالى.

وأمرنا الله أن ندعوه بأسمائه، قال تعالى:)وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا([الأعراف:١٨٠]، وقال تعالى:)قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى([الإسراء:١١٠]، وزاد في موضع آخر تهديد من ألحد في أسمائه:)وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ([الأعراف:١٨٠] [١٣٢].

٦- التذكير بالنعم.

من الملاحظ في آيات الذكر الحكيم أنها تذكر المسلم بالنعم من مشاهد الكون، وحقائق النفس، وهذا يأتي في سياق الأمر بالعبادة، والتزام الأوامر والابتعاد عن النواهي، تحفيزًاعلى العبادة، وحملاً على الطاعة، وإبعادًا عن المعصية، وهذا من أهم وسائل بناء مفهوم الدافعية في القرآن، قال الله تعالى:) إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ{٩٥} فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ{٩٦} وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ{٩٧} وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ{٩٨} وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً

---

[132] انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ط١، ٩ مجلدات، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م، ج٤، ص٨-٧.

نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ{٩٩}([الأنعام:٩٥-٩٩].

هذا التذكير والتوجيه ينشئ الإنسان الإيجابي؛ لأنه سيقرر في قلب العبد شعورًا بأن الحياة تتحرك، ولولا أنها حياة متحركة ما كانت هذه النعم وجدت فيها، فلا يعقل أن تكون الحياة متحركة بنعمها ويكون الإنسان السيد جامدًا محله فيها.

٧- تقرير التلويح بالجزاء ترغيبا وترهيبا.

في الترهيب وبيان العقاب والوعيد الذي أعده الله للكافرين والعاصين، ما يعطينا الدافعية للتنفير من اتباع سلوكهم السيئ، قال تعالى:) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى{١٢٤} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً{١٢٥} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى{١٢٦} وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى{١٢٧}([طه:١٢٤-١٢٧].

وفي الترغيب، مثل قوله تعالى:)وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ([آل عمران:١٣٣].

٨- الشعور بمحبة الله ومعيته.

هناك آيات تُشجع الإنسان على الجهاد في سبيل الله، مثل قوله تعالى:) وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ([العنكبوت:٦] ،) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ([العنكبوت:٦٩]،) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ([محمد:٧].

وهناك آيات كثيرة تدل على محبة الله لعباده المؤمنين، منها قوله تعالى:) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ([المائدة:٥٤].

وهناك آيات تدل على معية الله للصابرين والمتقين والمحسنين، منها قوله تعالى:) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ([البقرة:١٥٣]، وقوله تعالى:) وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ([البقرة:١٩٤]، وقوله تعالى:) وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ([الأنفال:١٩]،

وقوله تعالى:) إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ([النحل:١٢٨]، والشعور بمعية الله من أقوى الدوافع في ضمير الإنسان نحو نهضته بالأمة.

فحين تثبت الدافعية والإيجابية في الإنسان، فيُركِّز هذا الإنسان الإيجابي على عبوديته لله (عز وجل) تركيزا قويّا، ثم هذه العبودية تتعلق تعلقا وثيقا بعلاقته بنفسه، وبالكون والناس كافة، فيشعرهم بالمسؤلية، وهذا من علامات النجاح في مشروع النهضة؛ فالنهضة التي علمنا القرآن إياها هي نهضة نحو الله تعالى حتى يتحقق الهدف والغاية في خلق الله الإنسان.

الفصل الرابع:

من قيم النهضة الإسلامية في الرؤية القرآنية.

المبحث الأول : تفعيل دور العقل ومحاربة التقليد الأعمى.

المبحث الثاني : تحقيق القرآن الكريم لمفهوم إنسانية الإنسان.

المبحث الثالث : مفهوم الاستخلاف القرآني ودوره في تحقيق النهضة.

المبحث الرابع : إرساء قيمة العدل.

المبحث الخامس : وحدة الأمة ضرورة معاشية وسبيل للنهوض.

المبحث السادس : تأسيس منظومة الأخلاق القائمة على مبدأي الحرية والمسؤولية.

المبحث الأول: تفعيل دور العقل ومحاربة التقليد الأعمى.

جاء في القاموس المحيط: ((...العقل، هو: العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها، أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين لأمور أو لقوة بها يكون التمييز بين القبيح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات تستتب بها الأعراض والمصالح، وهو نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية...))[١٣٣].

أما الغزالي فيرى أن العقل اسم مشترك لمعان أربعة، هي:

١- الوصف الذي يفارق به الإنسان سائر البهائم، وهو الاستعداد لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية.
٢- العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز، بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، والشخص الواحد لا يكون في مكانين.
٣- العلوم التي تستفاد من تجارب الأحوال.
٤- الحالة التي تنتهي بها قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها.[١٣٤]

المطلب الأول: وسائل القرآن في تفعيل دور العقل.

العقل أداة التفكير؛ لأن الله تعالى كرم الإنسان به، ورفع به منزلته، وجعله منبع العلم وأساسه، قال الله تعالى:)إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ([البقرة:١٦٤].

هذه الآية وأمثالها دعوة قوية لإعمال العقل في مخزونات الكون ومنافعه، والتفكير في الاستفادة من طاقاته؛ لأن الفكر أداة الإبداع والابتكار، وإهمال العقل والتفكير مثل صارخ للتخلف، وكل ذلك يدل على أن التفكير فريضة إسلامية لا تختلف عن بقية فرائض العبادات التي يمارسها

---

[133] الفيروزآبدي، محمد بن يعقوب (ت ٨٢٣هـ)، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م، فصل العين باب اللام، ج٤، ص١٨ ، ١٩.

[134] انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، ج١، ص١٣٨.

الإنسان، بل لا يقبل الإيمان إلا بدليل عقلي يطمئن إليه كل مؤمن، ولا يجوز التقليد في توارث العقائد؛ لأن الله تعالى ذم التقليد في الاعتقاد في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:)وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ([المائدة:١٠٤].

وإذا أهمل الإنسان إعمال فكره في شؤون الحياة، كان أشبه بالبهائم، ومعطلاً لأداة التمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، والنافع والضار، وعندها يقف مكانه لا يتقدم ولا ينهض، ويضيق ذرعًا بالحياة؛ لأنه لم يستفد من الموهبة العظمى التي منحه الله تعالى إياها، وصار بدونها ضعيفًا خائفًا، لا يعرف الهداية من الضلالة، والحسنة من السيئة، كما وصف الله تعالى الجاهلين بقوله:)وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ([الأعراف:٢٨].

وقد مجد الإسلام العقل، وجعل إهماله سببًا في عذاب الآخرة، فقال الله تعالى حكاية عن الذين ضلوا وعطلوا وسائل المعرفة، ولم يستعملوا عقولهم في معرفة الحق والعمل به:)وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ([الملك:١٠-١١].

وقد ألزم الإسلام الإنسان بإعمال العقل في كل ما هو خير، وترك ما هو شر، وتأسيس نهضة الإسلام على أساس من العلم والمعرفة، ومن بدهي القول إن الإسلام رسالة بناء ومجد، وعزة وكرامة، وسبيل ذلك الحضارة والتقدم، والحضارات لا تقوم إلا بسلطان العلم والعقل، وتخلف الأمم والتهديد بانقراضها وزوالها يكون بسبب الجهل وتعطيل طاقات الفكر.[١٣٥]

والقرآن يدعو إلى تفعيل العقل حين يتحدث في آيات عديدة عن وظائف العقل، منها:[١٣٦]

❖ **وظيفة التبصر:**

منها: قوله تعالى:)قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ([القصص:٧٢]، قال الرازي: ((...لأن الغرض من ذلك الانتفاع بما يسمعون ويبصرون من جهة التدبر فلما لم ينتفعوا نزلوا منزلة من لا يسمع ولا

---

[135] انظر: الزحيلي، **القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصة الحضارية**، ص٧١ وما بعدها.

[136] الغمراوي، **الإسلام في العصر العلم الرسالة والرسول والقرآن والإعجاز العلمي**، ص٥١ وما بعدها.

يبصر، قال الكلبي قوله: { أَفَلاَ تَسْمَعُونَ }، معناه: أفلا تطيعون من يفعل ذلك، وقوله: { أَفَلاَ تُبْصِرُونَ }، معناه: أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ والضلال...))[١٣٧].

وقال البقاعي: "...قال: { أفلا تبصرون }، أي: بالبصر والبصيرة كيف تتقشع جلابيب الظلام، عن وجوه الضياء الغر الكرام، ثم تتقنع بسواد أردية الحياء، وجوه الأنوار والضياء..."[١٣٨]، والمقصود بها: وظيفة العقل لا وظيفة العين، قال الراغب الأصفهاني: "...ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة..."[١٣٩].

❖ **وظيفة التدبر:**

إن التدبر أصل للوقوف على معاني القرآن، وقد حثنا الله عليه في قوله:)كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ([ص:٢٩]، قال ابن عاشور: ((...والتدبّر مشتقّ من الدُّبر، أي: الظّهر، اشتقّوا من الدُّبر فعلاً، فقالوا: تدبّر، إذا نظر في دبر الأمر، أي: في غائبه أو في عاقبته، فهو من الأفعال التي اشتقّت من الأسماء الجامدة...))[١٤٠]، وقال في موضع آخر: ((...والتدبر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ، كثير المعاني التي أودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبر تدبراً انكشفت له معان، لم تكن بادية له بادىء النظر...))[١٤١].

❖ **وظيفة التفكر:** وهو إعمال النظر في الشيء.

قال ابن القيم: ((...والتفكر في القرآن نوعان؛ الأول: تفكر فيه – أي: في القرآن؛ ليقع على مراد الله تعالى منه، وهو تفكر في الدليل القرآني، يعني: الآيات المسموعة. والثاني: تفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه، وهو تفكر في الدليل العياني يعني الآيات المشهودة...))[١٤٢].

وقد حثنا الله على التفكر في آيات كثيرة منها قوله تعالى:)وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ([الجاثية:١٣]، فالآية تدل على ضرورة " تفعيل دور العقل"؛ ليكون بديلاً عن " التقليد الأعمى"، ولتكون حركة التفكير والتفكر في الكون والحياة والإنسان بديلاً لحالة الجمود المميت الذي يسد أبواب المعرفة وطريق النهوض بالأمة.[١٤٣]

---

137 الرزي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٥، ص١١.

138 البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٥، ص٥١٤.

139 أبو القاسم، الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة، لبنان، ص٤٩.

140 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص٢٠٠.

141 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٣، ص١٤٨.

142 ينظر: ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن إبي بكر (ت ٧٥٢هـ)، **مفتاح دار السعادة**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص١٨٧.

143 د. عبد السلام الراغب ، أستاذ في جامعة حلب بكلية الآداب والشريعة ، **الجمود الفكري وأثره في المشروع النهضوي الإسلامي** ، المؤتمر الدولي الرابع، نحو مشروع نهضوي اسلامي، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ

❖ **وظيفة الاعتبار:**

منها: قوله تعالى:)فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ([الحشر:٢]، قال الراغب الأصفهاني: "...والاعتبار والعبرة: الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد..."[١٤٤].

إن قدرة الإنسان على التفكير هي التي جعلته أهلاً للتكليف بالعبادات، وتحمل مسؤولية الاختيار والإرادة، وهذا هو ما جعله أهلاً للخلافة في الأرض، وقد دعا القرآن الناس دعوة صريحة إلى التفكير في قوله تعالى:) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ([سبأ:٤٦][١٤٥].

والعبرة والاعتبار ليس في قصص الأمم والأقوام السابقين وتاريخهم فحسب، بل قد يكون في ما خلق الله من الموجودات في الكون، فهي مجال رحب فسيح للعقل للاعتبار؛ مثل قوله تعالى:)قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ([آل عمران:١٣].

وظيفة التفقه؛ منها قوله تعالى:)انظر كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ([الأنعام:٦٥]، والفقه في هذه الآية العلم بالشيء والفهم له، استعمله القرآن في مواضع كثيرة، بمعنى: دقة الفهم والتعمق في العلم.[١٤٦] قال الراغب الأصفهاني: ((...الفقه، هو: التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم...))[١٤٧].

❖ **وظيفة التذكر:** منها قوله تعالى:)وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ([الأنعام:١٢٦]، والتذكرة ما يتذكر به الشيء، وهو أعم من الدلالة والأمارة، والفرق بين التفكر والتذكر؛ أن التفكر يعمل لتحصيل معرفة جديدة، والتذكر يعمل لجلب معرفة قديمة.[١٤٨]

❖ **وظيفة النظر:** منها قوله تعالى:)قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ([آل عمران:١٣٧]، والنظر في هذه الآية ((...يعني: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الروية...))[١٤٩]، والنظر في القرآن ليس مجرد الإبصار الذي هو وظيفة العين،

---

144 أبو القاسم، **المفردات في غريب القرآن**، ص٣٢٠.
145 نجاتي، **القرآن وعلم النفس**، ص١٣٨.
146 المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٩، ص١٢.
147 أبو القاسم، **المفردات في غريب القرآن**، ص٣٨٤.
148 انظر: القرضاوي، يوسف، **العقل والعلم في القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص٥٢.
149 أبو القاسم، **المفردات في غريب القرآن**، ص٤٩٧.

إنما هو اكتساب المجهول بالمعلومات المكتسبة عن طريق إبصار العين، ومعظم المواضع التي ذكرت فيها عملية النظر الهدف منها التعرف على الله عن طريق إبصار آياته في الكون.

الخلاصة: إن القرآن خاطب العقل، واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإحكام والإتقان على أنظار العقول وطالبها بالإمعان فيها؛ لتصل بذلك إلى اليقين بأن تفعيل دور العقل ضروري في نهضة الأمة في شتى نواحيها.

المطلب الثاني: آثار تفعيل العقل في النهضة.

حث القرآن الكريم على إعمال العقل، وذلك بالتأمل والتفكر والتدبر في كون الله والسموات والأرض وما فيها[١٥٠]؛ حتى يقرر في النفس الإنسانية أنه لا سبيل إلى النهضة الإسلامية إلا بطريق إعمال العقل في شريعة الله – يعني: القرآن والحديث –، وسنن الله الكونية والاجتماعية.

التعقل في شريعة الله يخرجنا عن التيارات الفكرية والأيدولوجية البشرية) صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ ([البقرة:١٣٨]، أما التعقل في سنن الله الكونية فيجعلنا نتفنن في حركاتنا النهضوية؛ فتكون نهضتنا خيرا من حضارة الأمم السابقة التي كانت نهايتها الهلاك، وإنما نهضتنا نهضة دائمة، ملتزمة بمعيار العقائدية بالله، والعبودية له، والتعاون بين عباد الله، للحصول على السعادة في يوم الآخرة.

إن إعمال العقل حركة معنوية، لا بد من أن يلحقها الحركة الحسية من الجسد؛ فالنهضة هي الحركة والنشاط، معنويًا وحسيًا، فلا تتصور النهضة بدون الحركة، وتجميد الحركة العقلية يؤدي إلى التقليد الأعمى، وذلك يؤدي إلى التقهقر والانحطاط؛ فالقرآن حين يحث على الحركة العقلية فهو في نفس الوقت يحث على إعمال الحركة الجسدية؛ لأنه لا يتم حركة العقل إلا بعد أن يظهره بالحركة الجسدية؛ ((...فالقيم لا تتبع من تقليد الآباء والأسلاف وتقديسهم، إنما تتبع من التقويم المتحرر الطليق...))[١٥١].

---

[150] على سبيل المثال انظر: الرعد:٣-٤؛ آل عمران:١٩١؛ النساء:٨٢؛ محمد:٢٤؛ العنكبوت:٢٠؛ النحل:٤٨؛ الرعد:٤١.

[151] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٣٨٥.

المبحث الثاني: تقرير القرآن الكريم لمفهوم إنسانية الإنسان

المطلب الأول: تكريم القرآن للإنسان.

إن رسالة الإسلام هي تنمية المعنى الإنساني في الإنسان؛ لأن حياة الإنسان هي أساس العمران البشري، وتتجلى تلك الروح الإنسانية الشاملة في قوله تعالى:)مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ([المائدة:٣٢]، فالآية تدل على قضية الوحدة الإنسانية وقيمتها واحترامها، حيث جعلت حق الحياة هو الحق الذي تشترك فيه كل النفوس[١٥٢]، وإن جناية الإنسان على غيره تعد جناية على البشر كلهم، لا على المتصلين به برابطة الأمة الدينية أو الجنسية أو النسبية أو السياسية فقط.[١٥٣]

ثم القرآن هو كتاب للإنسان ومن أجله، فهو كله إما حديث إلى الإنسان أو حديث عنه، وإذا تدبرنا أول ما نزل من الوحي القرآني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسيتضح لنا التركيز على العناية بالإنسان بصفة خاصة. ويتجلى ذلك بوضوح من ذكر لفظ ((الإنسان)) مرتين في الآيات الخمس الأولى من الوحي:)اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ([العلق:١-٥]

فالقرآن لم يغفل شأن الإنسان وعلاقته بربه (يعني: علاقة الخلق والإيجاد وعلاقة التعليم والهداية) والتعبير بالرب مما يشعرنا بالتربية والرعاية والترقي في مدارج الكمال[١٥٤]، قال الرازي في تفسير الآية: ((...كأنه تعالى يقول: الإيجاد والإحياء والإقدار والرزق كرم وربوبية، أما الأكرم هو الذي أعطاك العلم لأن العلم هو النهاية في الشرف...))[١٥٥].

والإنسان القويم في الناس هو إنسان العقل والعلم والإيمان والعمل، وهو شيئ كبير في جوهره وأثره، وإن بدا ضئيلاً في جسمه وحجمه، ولم ينل كائن من المخلوقات ما ناله الإنسان من تكريم وتشريف[١٥٦].

وينقسم تكريم الإنسان في القرآن إلى قسمين؛ التكريم المادي والتكريم الأدبي. ويتفرع عن التكريم المادي قضية شرف الخلق، وقضية الرزق، وقضية الموت. أما التكريم الأدبي، فيتفرع عنه قضية الدين وقضية العلم، وسأبين هذه القضايا، كالتالي:

---

[152] انظر: قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص٨٧٧.
[153] انظر: رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٦، ص٢٨٨-٢٨٩.
[154] انظر: محمود حمدي زقزوق، **هموم الأمة الإسلامية**، ص٩٧.
[155] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٢، ص١٧.
[156] انظر: الشرباصي، أحمد، **من أدب القرآن**، ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٨ وما بعدها.

١- قضية شرف الخلق.

إن القرآن الكريم ينظر إلى الإنسان نظرة وسطية، من حيث إنه مخلوق نشأ نشأة مادية، محفوظة بشفافية الروح ونورانية العقل.

أما كونه مادي النشأة فقد صرح القرآن بذلك في قوله تعالى:)وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ([المؤمنون:١٢-١٤]، فالآيات تدل على تنقل الإنسان في أدوار الخلقة، قال الرازي: ((...الإنسان ههنا ولد آدم والطين ههنا اسم آدم عليه السلام، والسلالة هي الأجزاء الطينية المبثوثة في أعضائه التي لما اجتمعت وحصلت في أوعية المني صارت منياً، وهذا التفسير مطابق لقوله تعالى: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ([السجدة:٧-٨]...))[١٥٧].

وهذه النشأة المادية أو التكوين المادي، يقتضي ضرورة الاستجابة لمطالبه، وإشباع حاجاته المادية، ولم ينظر إلى الإنسان باعتباره ملكًا نورانيًا. قال تعالى:)زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ([آل عمران:١٤]، قال الأستاذ سيد قطب: ((...ففي الإنسان هذا الميل إلى هذه « الشهوات »، وهو جزء من تكوينه الأصيل، لا حاجة إلى إنكاره، ولا إلى استنكاره في ذاته. فهو ضروري للحياة البشرية كي تتأصل وتنمو وتطرد...))[١٥٨]؛ ففي الآية بيان لأصول الشهوات البشرية التي تجمع مشتهيَات كثيرة، والتي لا تختلف باختلاف الأمم والعصور والأقطار. [١٥٩]

أما كونه محفوظًا بشفافية الروح، فإن الروح هي سر الله الأعظم في الإنسان، قال تعالى:)ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩) ([السجدة:٩]،)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ([الحجر:٢٩]، قال ابن عاشور: ((... والنفخ: حقيقته إخراج الهواء مضغوطاً بين الشفتين مضمومتين كالصفير، واستعير هنا لوضع قوة لطيفة السريان قوية التأثير دَفعة واحدة، وليس ثمة نفخ ولا منفوخ، وإسناد النفخ وإضافة الروح إلى ضمير اسم الجلالة تنويه بهذا المخلوق، وفيه إيماء إلى أن حقائق العناصر عند الله تعالى لا تتفاضل إلا بتفاضل آثارها وأعمالها، وأن كراهة الذات أو

---

[157] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٣، ص٧٤.
[158] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٣٧٤.
[159] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٣٩.

الرائحة إلى حالة يكرهها بعض الناس أو كلهم إنما هو تابع لما يلائم الإدراك الحسي أو ينافره، تبعًا لطباع الأمزجة أو لإلفِ العادة ولا يُؤْبَه في علم الله تعالى، وهذا هو ضابط وصف القذارة والنّزاهة عند البشر...))[١٦٠].

وهذه النشأة الروحية أو التكوين الروحي، يقتضي ضرورة الإشباع والتطهر والتزكية، وحاجتها إلى معراج روحي صوب الكمال الأخلاقي.

أما كونه محفوظًا بنورانية العقل، فإن العقل هو أفضل نعم الله على البشر، قال تعالى:)وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ([النحل:٧٨]، زودنا الله بالوسائل – السمع والبصر والفؤاد – وبها نحن نترقى في الحياة فتنمو مداركنا وتتسع عقولنا شيئًا فشيئًا، قال الرازي: ((...والمعنى: أن النفس الإنسانية لما كانت في أول الخلقة خالية عن المعارف والعلوم بالله، فالله أعطاه هذه الحواس ليستفيد بها المعارف والعلوم...))[١٦١].

وهذه النشأة العقلية أو التكوين العقلي، يقتضي ضرورة إشباع حاجاته في التعلم؛ كي لا يبقى الوجود الإنساني أسيرًا لمطالب تكوينه المادي ورغباته الأرضية، فيرتكس في مهابط الحيوانية المحضة وقد كرمه الله بالعقل.

وبناء على هذا، فإن مطالب الإنسان قد تعددت في التوازن ما بين ماديته وروحانيته وعقله. ومن هنا نجد القرآن قد نظر إلى الإنسان نظرة متكاملة، وتحقق التوازن بين مكوناته المادية أو الجسدية ومكوناته الروحية؛ فالروح والجسد في القرآن ملاك الذات الإنسانية تتم بهما الحياة، ولا يصح التنكر لأحدهما في سبيل الآخر.

٢- قضية الرزق.

قال تعالى:)وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ([الذاريات:٥٦-٥٨]، قال الرازي: ((...أي: خلقتهم وفرضت عليهم العبادة...))[١٦٢]،)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) ([المائدة:٨٧-٨٨]، قال الرازي: ((...{ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله } يدل على أنه تعالى قد تكفل برزق كل أحد؛ فإنه لو لم يتكفل برزقه لما قال: { كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله }،

---

[160] المصدر نفسه، ج١٣، ص٣٦.
[161] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٠، ص٧٢.
[162] المصدر نفسه، ج٢٨، ص٢٠٠.

وإذا تكفل الله برزقه وجب أن لا يبالغ في الطلب، وأن يعول على وعد الله تعالى: وإحسانه؛ فإنه أكرم من أن يخلف الوعد...))[١٦٣].

وفي آية أخرى، قال الله تعالى:)وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ([هود:٦]، قال ابن عاشور: ((...وتقديم { على الله } قبل متعلقه وهو { رزقها } لإفادة القصر، أي: على الله لا على غيره، ولإفادة تركيب { على الله رزقها } معنى: أن الله تكفل برزقها ولم يهمله؛ لأن (على) تدل على اللزوم والمحقوقية، ومعلوم أن الله لا يُلْزِمُهُ أحدٌ شيئاً، فما أفاد معنى اللزوم فإنّما هو التزامه بنفسه بمقتضى صفاته المقتضية ذلك له...))[١٦٤].

ومع أن قضية الرزق مكفولة من الله للإنسان، فإن اشترط الله على الإنسان أن يجتهد في كسب الأرزاق، قائلاً:)فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ([الجمعة:١٠]، قال الرازي: ((...ويبتغوا من فضل الله، وهو الرزق..، والأفضل في الابتغاء من فضل الله أن يطلب الرزق، أو الولد الصالح، أو العلم النافع، وغير ذلك من الأمور الحسنة، والظاهر هو الأول...))[١٦٥]، من هنا، فليس للإنسان إلا أن يحقق عبوديته لله، التي من ضمنها العمل لجلب الرزق المكفول لهم تكريمًا لإنسانيتهم من الله. فكذلك الشأن في مشروع النهضة القرآني، تحقيق العبادة وجلب الأرزاق المكفولة، للحصول على السعادة فى الدنيا والآخرة.

٣- قضية البعث.

قال تعالى:)مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى([طه:٥٥]، قال تعالى:)ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ([البقرة:٥٦]، قال الرازي: ((...لأن البعث (لا) يكون إلا بعد الموت...))[١٦٦]، فليس لمخلوق بعثة إلا الإنسان، هذا يجعل الإنسان يستشعر مهمة وجوده في الأرض، وأن وجوده فيها له هدف، وهو الابتلاء، كما قال تعالى:)الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ([الملك:٢]، فيحرص الإنسان على القيام أحسن الأعمال؛ استعدادًا لمستقبله في الآخرة، وهذا نوع من التكريم للإنسان.

---

163 الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٢، ص٦١.
164 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١١، ص٢٠٧.
165 الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٠، ص٩.
166 الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣، ص٨١.

٤- قضية الدين

قال تعالى:)ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا([الجاثية:١٨]، قال ابن عاشور: ((...والشريعة: الدين والملة المتَّبعة، مشتقة من الشرع، وهو: جَعل طريق للسير، وسمي النهج شَرعاً تسمية بالمصدر...، و { الأمر }: الشأن، وهو شأن الدين، وهو شأن من شؤون الله تعالى...))[١٦٧].

فالإسلام جاء ليحكم شؤون الحياة كلها على مستوى الفرد والجماعة، في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية وسواها..، وهو دين جاء ليربط العبد بربه، ومن ثم جاءت الشعائر التعبدية. وهو دين جاء ليحكم حياة الناس، ويدير شؤونهم؛ إذن فالإسلام دين شامل؛ يشمل العقائد والعبادات والمعاملات. ولم يجعل الله تعالى لمخلوق دين وشريعة ومنهاج حياة إلا الإنسان، وهذا نوع من تكريم الإنسان على سائر المخلوقات.

٥- قضية العلم

قال تعالى:)الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ([الرحمن:١-٤]، قال الرازي: ((...فقال: { عَلَّمَ القرءان } إشارة إلى تعليم العلويين، وقال: {عَلَّمَهُ البيان } إشارة إلى تعليم السفليين..، وإن تقديم تعليم القرآن إشارة إلى كونه أتم نعمة وأعظم إنعامًا، ثم بين كيفية تعليم القرآن، فقال: { خَلَقَ الإنسان * عَلَّمَهُ البيان }...))[١٦٨].

قال البقاعي: ((...قال: { علمه البيان *} وهو القوة الناطقة، وهي: الإدراك للأمور الكلية والجزئية، والحكم على الحاضر، والغائب بقياسه على الحاضر، تارة بالتوسم، وأخرى بالحساب، ومرة بالعيافة والزجر، وطورًا بالنظر في الآفاق، وغير ذلك من الأمور مع التمييز بين الحسن والقبيح وغير ذلك أودعه (سبحانه وتعالى) له، مع تعبيره عما أدركه بما هو غائب في ضميره، وإفهامه للغير تارة بالقول وتارة بالفعل نطقاً وكتابة وإشارة وغيرها، فصار بذلك ذا قدرة على الكمال في نفسه والتكميل لغيره، فهذا تعليم البيان الذي مكن من تعليم القرآن...))[١٦٩]؛ فخلق الإنسان ما بين تعليم القرآن وتعليم البيان يدل على كرامة الإنسان.

والغاية التي نصل إليها من هذا المطلب، أن القرآن قد بين لنا مفهوم الإنسانية الصحيح كقيمة من قيم النهضة القرآني، من خلال عرضنا لمبدأ تكريم القرآن للإنسان، أكد لنا القرآن أن الله يعتني بالإنسان عناية كبيرة، والقرآن كذلك يستعظم بإنسانية الإنسان؛ لكي تكون نهضتنا نهضة فرآنية، فليس لنا اختيار إلا بالرجوع إلى هدي القرآن؛ والأصل في فهم مفهوم الإنسانية

---

[167] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٥، ص٣٦٦.
[168] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٩، ص٧٥.
[169] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج٧، ص٣٧٣.

إنما كما بينه القرآن فحسب؛ لأنه كلام الله، وهو أدرى بمخلوقاته، فلا عبرة لأيديولجية البشر في هذه المسألة.

المطلب الثاني: التصور القرآني للإنسان وعلاقته بالنهضة.

خلاصة التصور القرآني للإنسان وعلاقته بالنهضة في الآتي[١٧٠]:

١. الله خلقه وكرمه[١٧١]؛

كرم الله (سبحانه وتعالى) الإنسان، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، قال تعالى:)وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ([الإسراء: ٧٠]، قال الرازي: ((...ومن تمام كرامته على الله تعالى، أنه تعالى لما خلقه في أول الأمر وصف نفسه بأنه أكرم، فقال: {اقرأ باسم رَبّكَ الذى خَلَقَ * خَلَقَ الإنسان مِنْ عَلَقٍ * اقرأ وَرَبُّكَ الأكرم * الذى عَلَّمَ بالقلم} [العلق:١-٤]، ووصف نفسه بالتكريم عند تربيته للإنسان فقال: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى ءادَمَ} ووصف نفسه بالكرم في آخر أحوال الإنسان فقال: {يأأيها الإنسان مَا غَرَّكَ بربّكَ الكريم} [الإنفطار:٦]، وهذا يدل على أنه لا نهاية لكرم الله تعالى ولفضله وإحسانه مع الإنسان...))[١٧٢].

وقد جمعت الآية خمس مِنن: التكريم، وتسخير المراكب في البر، وتسخير المراكب في البحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات، والمقصود بالتكريم هنا جعل الإنسان كريمًا أي: نفيسًا غير ذليل ولا ممتهن ولا مبذول. والمراد ببني آدم في الآية جميع النوع الإنساني من حيث هو، لا فرق بين إنسان وآخر لاعتبارات الجنس واللون أو الدين أو اللغة أو غيرها من الاعتبارات. [١٧٣]

والإنسان مكرم بنعمة العقل؛ فقد أنعم الله عليه بأدوات العلم والمعرفة، منها: السمع والبصر والفؤاد:)وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ([النحل:٧٨]، كما أنعم الله على الإنسان بأدوات العلم الأخرى، كالنطق واستخدام اللغة في التعليم والتعلم والتفكير والاتصال الاجتماعي، قال تعالى:)الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ([الرحمن:١-٤]، وقال تعالى:)ن وَالْقَلَمِ وَمَا

---

[170] انظر: الأستاذ الدكتور عبد السلام داود العبادي ، الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، مستشار الدولة للشؤون الإسلامية والدينية ، **المشروع النهضوي الحضاري الإسلامي ومواجهة التحديات** ، المؤتمر الدولي الرابع، نحو مشروع نهضوي اسلامي، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ

[171] انظر: البوطي، محمد سعيد رمضان، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، ص ٤٣ وما بعدها.

[172] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢١، ص١٣.

[173] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص١٣٠.

يَسْطُرُونَ([القلم:١]،)وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) ([البقرة:٣١-٣٢]، وبسبب علو شأن الإنسان بقوى العقل – الذي سببه النفخة الروحية –الذي لا يوجد في مخلوق آخر؛ فقد أمر الله الملائكة بالسجود له، قال تعالى:)وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ([البقرة:٣٤]، فسجود الملائكة لتميز الإنسان، لأن فيه النفخة الإلهية، قال تعالى:)فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ([الحجر:٢٩]، والتسوية المادية والنفخة الروحية كانا في وقت واحد، ثم جاء السجود، والإنسان بالنفخة الروحية صار عنده تميزه العقلي. [١٧٤]

ولكن هل كرم الله الإنسان لعقله وحسب، وحتى ولو استغل هذا الإنسان عقله فيما يضر الآخرين؟ وهنا نقول: لا، ثم لا، إن الله كرم الإنسان لعقله الخير لا الشرير، لعقله البناء لا الهدام، لعقله النافع لا الضار؛ لأن العقل في المفهوم الإسلامي هو البصيرة الحاكمة، والوسيلة التي تهدي إلى الخير وتقبح الأعذار. [١٧٥]

وهكذا تكون النهضة القرآنية بين أمرين؛ إما مبدأ "إنسانية الإنسان" مباشرة، كمنطلق لمشروع النهضة، وإما النيل من حقيقة "إنسانية الإنسان" أولاً، وبالتالي ستنهض الأمة بها؛ لأنه بدون شعار "الإنسانية" فليس لأي نهضة قيمة.

٢. هو مولود على الفطرة القويمة السوية؛

قال تعالى:)فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ([الروم:٣٠]، وألهم الله تعالى: الإنسان بالفطرة طريق التقوى وطريق الفجور، قال تعالى:)وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)([الشمس:٧-١٠]، وجعله قادرًا بنعمة العقل، على التمييز بين الطريقين أي على التمييز بين ما عليه أن يأتيه من خير يؤدي به إلى السعادة، وما يذره من شر يؤدي إلى الألم والخيبة، وأرشده إلى ما قدر له، كما منحه حرية الإرادة؛ ليختار طريقه، قال تعالى:)إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ([الإنسان:٣]، وقال تعالى:)وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ([الكهف:٢٩]، وقال تعالى:)قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ([يونس:١٠٨]، وقال تعالى:)إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى

---

[174] ذكر الرازي عشرين وجها في بيان أن القوة العقلية أجل وأعلى من القوة الجسمية في تفسير الآية ٣٥ من سورة النور (ج٢٣، ص١٩٤ وما بعدها)

[175] انظر: الجرجاني، **التعريفات**، ص١٩٧.

لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ([الزمر:٧]، ومن المعلوم أن مغزى الحياة الدنيا في الإسلام هو امتحان لإرادة الإنسان في خلافة الأرض، كما أن الحياة الآخرة محصلة لتلك الإرادة إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.[١٧٦]

وبما أن الإنسان يولد على الفطرة (يعني: التوحيد)[١٧٧]، فلا بد أن ينشأ مشروع النهضة القرآنية في أول إنشائه على مبدأ التوحيد كذلك؛ حتى يبقى الإنسان في فطرته الأصيلة كما يولد، وفي هذه الناحية، تكون وظيفة صانعي النهضة القرآنية كالمرشد، يرشد الناس على طريق التقوى والشكر والإيمان والهداية، ويبعدهم عن طريق الفجور والكفر والضلال – كما بينتها الآيات المذكورة – فبالتالي تبقى الأمة في فطرتها الراقية السليمة.

وعلى سبيل المثال التطبيقي؛ توضيحًا لمبدأ "التوحيد" هذا، إن النهضة القرآنية لا بد فيها من مؤسسات اجتماعية تقام على التوحيد اعتمادًا لقول الله تعالى:)أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا([الأنعام:١١٤]، إذًا نحن نبني المسجد ليعبد الله فيه، ونبني المدرسة لنتعلم كيف نعبد الله في المسجد، ثم نبني مؤسسات الدولة لنعلم كيف نوحد ربنا من خلالها..، وهكذا.

٣. المساواة بين الناس.

إن الناس سواسية في الحقوق والواجبات؛ فالتفاضل بين الإنسان عند الله في التقوى والعمل الصالح، ولكن نحن البشر نتعامل مع بعضنا على مبدأ المساواة في البشرية[١٧٨]، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ([الحجرات:١٣].

وبهذا المبدأ يستطيع المجتمع أن يعيش في أمان واستقرار، بعيدًا من الحقد والحسد؛ لعدم التفاضل في الحقوق والواجبات، والكل يؤدون واجباتهم أداء تامًا، كما يحصلون على حقوقهم، بغض النظر عن مستوياهم المختلفة، حتى لو كانو يختلفون في الدين، ولكنهم مسؤولون في الحفاظ على الدولة وتقدمها وتحضرها على سواء؛ فهم مشتركون ومجتهدون في مشروع النهضة على سواء، وهذا يؤثر إيجابيا في نجاح مشروع النهضة.[١٧٩]

٤. قضية بالثواب والعقاب.

---

176 التل، شادية أحمد، **الشخصية من منظور نفسي إسلامي**، ص٥٥-٥٩.
177 انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٥، ص١٠٥.
178 التل، شادية أحمد، **الشخصية من منظور نفسي إسلامي**، ، ص٦١.
179 انظر: السباعي، مصطفى، **من روائع حضارتنا**، ط٢، دار السلام، ٢٠٠٥م، ص ٤٧ وما بعدها.

إن الإنسان في الإسلام يولد بريئا من الذنوب ولا يسأل عن ذنوب من سبقوه في الحياة[١٨٠]، قال تعالى:) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ([البقرة:١٣٤]، وقال:) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ([الإسراء:١٥]، فالإنسان يحاسب على ما يعمله هو، ولا يثاب أو يعاقب على ما يعمله سواه ولو كان والده أو ابنه، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) [لقمان:٣٣]، قال ابن كثير في قوله تعالى: ((...{ لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ }، أي: لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه، وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يتقبل منه...))[١٨١].

إن قضية الثواب والعقاب مهمة في النهضة القرآنية، فبدونها ليس للإنسان حق في النهضة على الإطلاق، ولكنه مرتبط بمعيار إيمانيه وتقوى الله في مشروعه النهضوي، فلا فائدة من النمو والتطور والحضارة إذا كثرت في نفس الوقت المعاصي والفجور ومخالفة أمر الله تعالى، إضافة إلى أنه ليس من النهضة في شيء في الرؤية القرآنية بل إنه من أشد التخلف؛ لأن غاية النهضة في الرؤية القرآنية هي الإيمان والتقوى وطاعة أمر الله.

٥. هو مخلوق في أحسن تقويم؛

الإنسان له طبيعة متناسقة متعددة الجوانب يكمل بعضها بعضاً؛ فهو روح وجسد وعقل، تلتقي في كينونته هذه الجوانب في تناسق وتناغم، وأي زيادة في جانب منها على حساب الجوانب الأخرى يفسد هذه الكينونة المتناسقة، ومن هنا جاء اهتمام الإسلام بالجانبين الروحي والمادي من الحياة الإنسانية، كما جاء اهتمامه بالجانب العقلي والمعرفي في هذه الحياة، قال تعالى: في البنية الجسدية للإنسان:) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ([التين:٤]، وقال (سبحانه) في الجانب الروحي للإنسان:) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ([الحجر:٢٩]، وقال (عز وجل) مبينا الجانب المعرفي للإنسان:) وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ([النحل:٧٨]، وقال (جل جلاله) في الغاية من خلق الإنسان وهي (الإبقاء على الفطرة):) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ([الروم:٣٠].

---

[180] النل، شادية أحمد، **الشخصية من منظور نفسي إسلامي**، ص٦٠-٦١.

[181] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٦، ص٣٥١.

هذا يدل على أن مشروع النهضة القرآنية يراعي كل جانب من جوانب الإنسانية، بكل دقة وتوازن، في الجانب الجسدي، يحتاج الإنسان إلى التقدم والتطور المادي ليسهل ويحسن مستوى حياته؛ أما في الجانب الروحي، فيحتاج الإنسان إلى التعليم الديني والأخلاقي وإلى حمايته بالقانون الإلهي من الحدود والقصاص والتعزير؛ ليبعدهم عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ثم يتحلى بأخلاق محمودة؛ وأما في الجانب المعرفي، فيحتاج إلى تطور التعليم في كل تخصص من العلوم المتنوعة، مثل: علم السياسة وعلم الاقتصاد وعلم الهندسة وعلم الطب وغيرها الكثير.

المبحث الثالث: مفهوم الاستخلاف ودوره في تحقيق النهضة.

المطلب الأول: الاستخلاف – رؤية قرآنية.

من النصوص القرآنية التي تحدثت عن الاستخلاف بصيغه المختلفة، ما يلي:

قوله تعالى:)هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ **خَلَائِفَ** فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا([فاطر:٣٩]، وقوله تعالى:)وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ **خَلَائِفَ** الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ([الأنعام:١٦٥].

والخلائف: جمع خليفة، والخليفة: اسم لما يُخلف به شيء، أي: يجعل خلفاً عنه، أي: عوضَه، يقال: خليفة وخِلْفة، فهو فعيل بمعنى مفعول[١٨٢]، وذكر الرازي وجوهًا ثلاثة في معنى "خلائف"، فقال: ((...أولها: جعلهم خلائف الأرض؛ لأن محمدًا (عليه الصلاة والسلام) خاتم النبيين، فخلفت أمته سائر الأمم. وثانيها: جعلهم يخلف بعضهم بعضًا. وثالثها: أنهم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها...))[١٨٣]؛ فهذه الصيغة يحدد معناها السياق.

وقال تعالى:)وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ **لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ** فِي الْأَرْضِ كَمَا **اسْتَخْلَفَ** الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ([النور:٥٥].

قال الأستاذ سيد قطب وهو يشرح حقيقة الاستخلاف: ((...إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم..، إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه؛ وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض، اللائق بخليقة أكرمه الله...))[١٨٤].

---

[182] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٧، ص١٥٦.
[183] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٤، ص١٢.
[184] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٥٢٩.

والمقصود الأصلي من الاستخلاف، إنما هو: ظهور الكيفيات الحسنة للأعمال الصالحة؛ لأن الأصل في ثبوت الاستخلاف الإيمان المقترن بالعمل الصالح؛ حتى يكتمل مشروع النهضة والإصلاح للأمة[١٨٥].

ولعلَّ الحكمة من كون هذه الآية بين الآيتين)قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ([النور:٥٤] و(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ([النور:٥٦]، أنَّ أسباب "الاستخلاف" و"التمكين" هي من قبيل الطاعة الجماعية، ومن نوع "عبادة الأمَّة"، وليست من العبادات الفردية الأحادية، ولذلك كان أمرها مرتبطًا بأمر الإمام والقائد، فإذا صلح – وهو شرط أساسي – ثم أطاعته الأمَّة في الصلاح – وهو شرط آخر أساسي – كانت النتيجة: التمكين في الأرض، والاستخلاف بإذن الله تعالى:، بناء على سننه ونواميسه.

قوله تعالى:)وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ **خَلِيفَةً** قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ([البقرة:٣٠].

إن معنى "الخليفة" في الآية، هو: قوم يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرن، وجيلاً بعد جيل حتى قيام الساعة، وهي اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى،[١٨٦] وبالتالي، ليس المراد هاهنا بالخليفة آدم (عليه السلام) فقط على وجه التخصيص والتعيين؛ لأنه إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة: { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ }؛ فالمقصود منها الجنس البشري أو النوع الإنساني على الإطلاق من آدم (عليه السلام) وذرياته أجمعين إلى يوم الدين الذي سيكون مكلفًا بحمل مسؤولية الاستخلاف وتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض مسترشدًا بالوحي الإلهي[١٨٧].

فالآيات كلها تدل على معنى واحد، هو: بيان أن الخلافة بأبعادها ومدلولاتها النهضوية هي الوظيفة الوجودية للإنسان في الأرض، التي من أجلها خلق، وبها فضل على كثير ممن خلق الله تفضيلاً؛ فإن المعنى الذي تتضمنه كلمة الخلافة، هو: أن الله تعالى قد استخلف الإنسان في هذا الوجود، ليتصرف في مملكته الكونية طبقًا لحق الاستخلاف الذي وهبه إياه؛[١٨٨] ((...فوظيفة هذا الاستخلاف هو تدبير وإرشاد وهدى، ووضع الأشياء مواضعها، دون احتياج إلى التوقيف

---

185 أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج٤، ص١٢٧.

186 الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢، ص١٥٢.

187 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٣٨٥.

188 انظر: المودودي، أبو الأعلى (ت ١٩٧٩)، **نظام الحياة في الإسلام**، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ص ٢٣-٢٤.

في غالب التصرفات، وكل ذلك محتاج إلى القوة الناطقة أو فروعها، والقوى الملكية على شرفها إنما تصلح لأعمال معينة قد سخرت لها لا تعدوها، ولا تتصرف فيها بالتحليل والتركيب...))[١٨٩].

وكلمة الخلافة تعبر عن وجود علاقة بين أطراف مختلفة، وعناصر أساسية تتكامل فيما بينها لتحقق مفهوم الخلافة، وهي: المستخلِف وهو الله، والمستخلَف وهو الإنسان، والمستخلَف فيه وهي الأرض، والمستخلف عنه وهو المنهج الإلهي أي مضمون الاستخلاف.

ومن ثم، فالخلافة هي تكليف إلهي للإنسان ليباشر مهمة الإعمار والبناء في الأرض وفق إرادة الله؛ لتتحقق بذلك العبودية الكاملة لله في هذا الكون، وللقيام بأعباء أمانة الاستخلاف وجوهر هذه الأمانة هو رعاية القيم الخيرة التي ينطوي عليها المشروع النهضوي الإسلامي.[١٩٠]

وخلاصة القول إن مفهوم الاستخلاف في القرآن حركة إنسانية إيجابية فاعلة دائبة مستمرة مع سنن الأنفس والآفاق، يسعى الإنسان من خلالها إلى ترقية حياته الروحية والخلقية، وتسخير كل مظاهر الكون الفسيح والانتفاع بها، وتوجيهها لخدمته وخدمة بني جنسه رغبة في إقامة حضارة إنسانية، في ظل منهج العبودية لله الذي تنتفي معه كل مظاهر الخلل والفوضى والاضطراب.[١٩١]

موضوع الاستخلاف القرآني – الإنسان

يقول الله تعالى:)أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ([المؤمنون:١١٥]، إنما خلق الله الإنسان ليكون خليفة له في الأرض، والنصوص القرآنية الكثيرة صريحة إلى أبعد الحدود في إعطاء هذا الدور النهضوي للإنسان، وبالتالي منَّ الله على الإنسان بنعم لا تحصى: العقل والإرادة والقدرة العضلية والمخيلة (المقدرة على الابتكار)؛ لأن الإنسان لن يكون مجرد كائن في كون الله، بل كائن له طبيعة خاصة، وقدرات خاصة، تناسب رسالته وكرامته عند الله. والإنسان مسؤول عن هذه النعم كلها:)وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ([الإسراء:٣٦] [١٩٢].

فقد كان الإنسان هو المحور الأساس الذي يدور حوله الخطاب القرآني في سائر الأغراض والمناسبات، حيث أولاه مكانة مركزية في الوجود، واعتبره قيمة حقيقية، وقوة للتغيير والحركة في الحياة، وأوكل إليه مهمة التعمير والبناء، فكان بذلك مدار الحركة النهضوية في

---

189 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٣٩٩.

190 انظر: الصدر، محمد باقر(ت١٩٨٠م)، **الإسلام يقود الحياة**، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٥٤.

191 انظر: محمد زرمان، **وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم**، ط١، دار الاعلام، عمان، ٢٠٠٢م، ص٤٣.

192 انظر: محمد محمد داود، **القرآن وصحوة العقل**، ط١، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م ص٢٩.

القرآن، هو الأمانة:)إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا([الأحزاب:٧٢] .

والخلافة هي أمانة الوجود الإنساني ومهمته، وتشير إلى الخلافة عن الله لتحقيق مراده، بتنفيذ أوامره في الأرض والابتعاد عما نهى عنه، وحتى يتمكن الإنسان من الوفاء بمتطلبات أمانة الاستخلاف، استخلف الله الإنسان في الأرض، وهيأ له فيها كل أنواع النعم، وسخر له ما في السموات والأرض للانتفاع به وإعماره، والسعي فيه بالإصلاح ليقيم حياته على هذه الأرض خير قيام، قال (سبحانه):) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ([لقمان:٢٠]،)وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ([الجاثية:١٣]،)وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ([إبراهيم:٣٣] [193].

فقد أوجب الله تعالى: على الإنسان عمارة الأرض، واستثمار الموارد الموجودة في الكون والانتفاع بخيراتها، وذلك على سبيل النيابة عن الله تعالى، وليس على سبيل السيطرة على الآخرين، وقد شاءت حكمة الله تعالى أن تجعل في الكون كنوزه وقوانينه، وأن تضع في يد البشر مفاتيح هذه الكنوز فيما أوتوا من أسرار المدارك وحظوظ الملكة، والكون خلق أولاً بقوانينه، ثم جاء الإنسان عليه، فقدرة الإنسان موافقة ومناسبة لقوانين الكون، فقد زود الله الإنسان بالقدرة ليستغل الكون، فجعل قوانين الكون مناسبة لقدراته،؛ ليحقق التفاعل الإيجابي بين الإنسان وبين الكون فينتج عنه عمران الأرض؛ قال تعالى:) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ([الأعراف:١٠].[١٩٤]

وأعطاه حرية الإرادة والاختيار والتصرف، وجعله مسؤولاً عن ذلك، وأودع فيه قدرات جسمية ونفسية، وطاقات كثيرة، وزوده بالعقل الذي يمنحه القدرة على التعلم والتفكير والتدبير والإبداع، ويكشف له أسرار الطبيعة ومجاهلها، قال تعالى:)أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ([الحج:٤٦].[١٩٥]

---

[193] الأستاذ الدكتور عبد السلام داود العبادي ، الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، مستشار الدولة للشؤون الإسلامية والدينية، **المشروع النهضوي الحضاري الإسلامي ومواجهة التحديات** ، المؤتمر الدولي الرابع، نحو مشروع نهضوي اسلامي، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ

[194] انظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج٤، ص٤٥٤؛ عبد اللطيف، نبيل، **الإنسان كما فطره الله رأي في دعائم نهضة الأمم وبناء الحضارة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥٩ وما بعدها.

[195] انظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج٥، ص٥٨٧٠.

وبهذا يكون الإنسان موضوع الاستخلاف القرآني ومحوره المركزي، باعتبار أن مهمة الاستخلاف هي الأمانة من الله له، وبالتالي يعمل الإنسان ويجتهد لتحقيقها، فتنشأ الحركة النهضوية بتفاعله مع الكون المسخر له؛ حتى يستطيع أن يبني الحضارة في الأرض. فلا بد أن نشير هنا أن نقطة البداية في هذه القضية هي "التغيير"، كما نبه الله إليه بقوله)إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ([الرعد:١١].

المطلب الثاني: المشروع الاستخلافي يحقق النهضة القرآنية.

بناء على المطلبين السابقين فإن المشروع الاستخلافي يقتضي الحركة في بعدين، الإيماني والعمراني، وهما المركزان في النهضة القرآنية. ثم هذه النهضة التي تصنع الحضارة، ثم الحضارة هي التي تصنع المنتجات.[١٩٦]

أما البعد الإيماني، فهو الترقي الروحي والخلقي، الذي يعمل على تهذيب النفس الإنسانية، وتزكيتها وتأهيلها لعمل الخير، وتقوى الله في كل ما تأخذ وتدع، ومراعاة حقوق غيرها في المجتمع والمحافظة عليها.

ويتحقق هذا البعد باجتهاد الإنسان في الالتزام بأداء الفرائض والارتقاء إلى أداء النوافل، والمساهمة الفعالة في تغطية فروض الكفاية، التي تعين على النهوض بالأمة، ودفع مسيرتها نحو الرقي؛ لأن الشعائر والعبادات من أعظم الوسائل في تربية النفس الإنسانية وتزكيتها، فهي بمثابة المدرسة التي تتناول الإنسان بالتهذيب والإعداد والتربية؛ فالترقي الروحي هو الذي يُكون القلوب الحية والضمائر اليقظة المستعدة للقيام بأعباء الاستخلاف.

وكلما ارتفع الإنسان في الترقي الروحي الإيماني، ازداد العمل والجهد في التنمية والتعمير والارتقاء بالحياة الاجتماعية، وذلك من خلال هدي القرآن في الربط الدائم والمتكرر بين الإيمان والعمل في كثير من الآيات، منها سورة العصر.[١٩٧]

أما البعد العمراني فهو الترقي المادي والمدني الذي يتمثل في الجهود التي يقوم بها الإنسان لاستثمار مرافق الكون والانتفاع بها وتسخيرها في خدمة مطالب حياته وحاجاته الأساسية، قال الله تعالى:)هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ([هود:٦١]، والاستعمار بمعنى: الإعمار، أي جعلكم عامرين الأرض، فالسّين والتاء للمبالغة، كالتي في استبقى واستفاق[١٩٨]. واستعمركم فيها،أي: وجعلكم عمارًا في الأرض، من العمران، وأنهم جَعلوا

---

[196] اقتباس من: سفر، محمود محمد، **دراسة في البناء الحضاري**، ط١، سلسلة كتاب الأمة، ص١٤.

[197] تكلمنا عن هذا الموضوع في المبحث الثاني من الفصل الثاني.

[198] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١١، ص٢٨٨.

الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع؛ لأنّ ذلك يعدّ تعميراً للأرض، فقد كانوا زراعًا وصناعًا وبنائين:)وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ([الحجر: ٨٢] [١٩٩].

وقد رسم القرآن للإنسان الكيفية التي يحقق من خلالها الاستخلاف، موافقًا لهذين البعدين[٢٠٠]:

١- التوازن الدقيق في العلاقة بين الآخرة وهي الغاية الأسمى، وبين الدنيا وهي الجسر الوحيد إلى الآخرة:)وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ([القصص: ٧٧]، فهذه الآية تدلّ في قيمتها النهضوية التي تحملها على أن هناك عدة أمور يجب التنبه لها؛ أولاً: ابتغاء وجه الله عَزَّ وجَلَّ في مشروع النهضة؛ ثانيًا وثالثًا: الاجتهاد في أداء أمانة الاستخلاف نحو التقدم والتطور والاستعمار في أرض الله الفسيحة، مع الاعتقاد بأن السعادة الأبدية المرجوة ليست في الدنيا وإنما في الآخرة؛ رابعًا: أن تكون النهضة في إطار الإحسان خصوصًا في صلة الناس في عبوديتهم لله وفي صلتهم مع بعضهم؛ خامسًا: الحث على البناء والاصلاح المتكامل، والابتعاد عن الهدم والخرب والفساد؛ لأن الفساد خلاف إطار الإحسان.

٢- التنسيق بين أداء الفرائض وبين السعي في طلب الرزق:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) ([الجمعة:٩-١٠]، في الآية إشارة إلى أن مشروع النهضة يستلزم الحركة الجماعية لا الانفرادية، ويتحرك هذه الحركة الجماعية في ظلال ذكر الله والاتصال الدائم بخالق الأكوان؛ وإعطاء الأولية إلى تلبية نداء الله من شؤون المعاش، قال صاحب الظلال: ((...وهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي، والتوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض، من عمل وكد ونشاط وكسب، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو، وانقطاع القلب وتجرده للذكر، وهي ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى، وذكر الله لا بد منه في أثناء ابتغاء المعاش، والشعور بالله فيه هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة، ولكنه مع هذا لا بد من فترة للذكر الخالص، والانقطاع الكامل، والتجرد الممحض، كما توحي هاتان الآيتان...)) [٢٠١].

---

[199] رشيد رضا، تفسير المنار، ج١٢، ١٠١.

[200] انظر: الفوال، صلاح مصطفى، **التصوير القرآني للمجتمع الإنسان والنظم الاجتماعية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٥٧-١٥٨.

[201] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٥٧٠.

وانطلاقًا مما سبق أقول: تتحقق النهضة القرآنية بتحقق الاستخلاف، إذا تكامل فيها البعدان الإيماني والعمراني، وتوازى فيها السعي والجهد نحو الترقي الروحي مع جهود الترقي المادي والمدني.

يمكن استخلاص آثار الاستخلاف وثمراته فيما يلي:

يمكن استخلاصها فيما يلي:

١- تمكين الدين بتطبيق شريعة الله، وبالتالي انتشار الدعوة لدين الإسلام، وتحقيق العدالة الحقيقية، وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب، كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها.

٢- تحقق الأمن والاستقرار في المجتمع، لنقصان قدر الجناية والمعصية نتيجة تطبيق أحكام الحدود والقصاص والتعزير.

٣- توفر القدرة الكاملة على العمارة والإصلاح لا على الهدم والإفساد، والقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر. والقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان.

٤- وجود الاستطاعة في تنظيم حياة الإنسان في كل أطوارها ومراحلها، وفي كل علاقاتها وارتباطاتها، وفي كل حركاتها وسكناتها.

٥- تحقيق الهدف من خلق الإنسان، وسيكون المجتمع مجتمعًا متحضرًا ومتقدمًا بإذن الله تعالى. [٢٠٢]

المبحث الرابع: إرساء قيمة العدل.

المطلب الأول: العدل في القرآن.

يعتبر العدل خلقًا سلوكيًا وقيمة معنوية أصليًا ينتج عنه مجموعة من الأخلاق السلوكية الفرعية؛ فبالعدل أنزلت الكتب، وبعثت الرسل، وبالعدل قامت السماوات والأرض.. والمراد بالعدل: المساواة بين الناس أو بين أفراد أمّة فيمل يلي:

(أولاً) في تعيين الأشياء لمستحقها سواء أكان ذو الحق فردًا أم جماعة أم شيئًا من الأشياء أم معنى من المعاني.

(ثانيا) وفي تمكين كلّ ذي حقّ من حقه، بدون تأخير ولا طغيان ولا إخسار، فلا يبخس حقه، ولا يجور على حق غيره؛ فهو مساواة في استحقاق الأشياء وفي وسائل تمكينها بأيدي

---

[202] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٥٢٨.

أربابها؛ فالأوّل هو العدل في تعيين الحقوق، والثاني هو العدل في التنفيذ، وليس العدل في توزيع الأشياء بين الناس سواء بدون استحقاق[٢٠٣].

قال تعالى:)الرَّحْمَنُ(١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ(٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ(٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(٤) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ(٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ(٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ(٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ(٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ(٩)([الرحمن:١-٩]، قال ابن كثير: أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل، لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل[٢٠٤].

وعلل الرازي المناسبة بين القرآن والميزان في سورة الرحمن بأن القرآن فيه من العلم ما لا يوجد في غيره من الكتب، وأما الميزان ففيه من العدل ما لا يوجد في غيره من الآلات[٢٠٥]، ويفهم من هذا الكلام بأن الميزان وهو العدل من أعظم نعم الله على المخلوقات جميعًا وخصوصًا البشر.

وجعل القرآن إقامة القسط (أي العدل) بين الناس هو الغاية من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، في جميع مراحل الهداية الإلهية؛ قال الله تعالى:)لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ([الحديد:٢٥]، فبغير هذا الميزان الإلهي الثابت في منهج الله وشريعته، لا يهتدي الناس إلى العدل.

وقد حرص القرآن الكريم على تقرير حقيقة العدل بالأمور التالية:

أولا: العدل، هو: إقامة الحق على أساس المنهج القرآني الإلهي.

والحق، هو: الميزان الذي يجب أن نحكم به بين الناس؛ حتى يسود العدل؛ لأن الحق هو الذي يقيم العدل، قال الله (سبحانه):)وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ([الاعراف:١٥٩]، فإن الأمم العظيمة لا تخلو من أهل الحق والعدل[٢٠٦]، والمعنى: إنهم يحكمون بالعدل على بصيرة وعِلم، وليس بمجرد مصادفة الحق عن جهل[٢٠٧]، وكذلك الحال في شأن النهضة، فلا بد من أن يقيمها رجل مهتد بهدي القرآن؛ حتى يكونوا عادلين وعالمين بمشروع نهضتهم القرآني.

ثانيا: إن العدل القرآني عدل مطلق.[٢٠٨]

---

203 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص١٦٢.
204 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج، ص٤٩٠.
205 الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٩، ص٨١.
206 رشيد رضا، **تفسير المنار**، ج٩، ص٣٠٧.
207 ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨، ص٣٢٢.
208 انظر: الخطيب، محمد عبد الله، **المجتمع الإسلامي خصائص وحقائق**، ص٤٦ وما بعدها.

وقوله:)وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً([الأنعام:١١٥]، قال قتادة: صدقًا فيما قال وعدلاً فيما حكم، وكل ما أمر به فهو العدل المطلق الذي لا عدل سواه[٢٠٩]؛ فهو كما يقول ابن كثير (رحمه الله): "العدلُ واجب على كل أحد، لكلّ أحدٍ، في كل حال[٢١٠]".

وهذا الأساس يتمتع به كل إنسان، مهما كان موقعه، وذلك قمة في العدل، لم يبلغها أي قانون دولي حتى الآن، قال تعالى:)إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ([النساء:٥٨] [٢١١].

فلا يمنع إقامة العدل بعوامل الإحساسيس والمشاعر، كالبغض أو الكره أو الحب، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ([النساء:١٣٥]، ونستفيد من الآية ما يلي:

١- إن الله يأمرنا بالعدل المطلق فلا نعدل عنه يمينًا ولا شمالاً؛ لأن الله يتصف بالعدل، وواجب على العباد أن يعدلوا في حياتهم، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه.

٢- تحقيق العدالة لابتغاء وجه الله فقط؛ لكي تكون صحيحة عادلة حقًا، خالية من التحريف والتبديل والكتمان.

٣- يلتزم الإنسان بالعدالة مهما كانت الظروف، حتى لو كانت العدالة مؤدية إلى الضرر، في نفسه أو أسرته أو أقربائه، فليس هناك أي مانع يمنعه من قول الحق.

٤- اختلاف مستوى المعيشة ليس سببًا في عدم العدالة، فكل من الغني والفقير سواء بسواء في الالتزام بالعدالة، فلا تراعي أحدًا لغناه، ولا تشفق عليه لفقره.

٥- فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغْضَ الناس إليكم، على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل الزموا العدل على أي حال كان، كما قال تعالى:: { ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } [المائدة: ٨].

٦- إن الله يمنع عباده من تحريف الشهادة وتغييرها وتعمد الكذب، كما يمنع كتمان الشهادة وتركها.

٧- إن الله يعلم كل تصرفات العباد، وسيحاسب العادلين بالأجر وسيعاقب معرضي العدالة بالعذاب.[٢١٢]

---

[209] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٣، ص٣٢٢.
[210] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص١٢.
[211] سيد قطب، **العدالة الاجتماعية في الاسلام**، ص ١٠١.

إذًا، فالعدالة في الحقيقة القرآنية يستفيد منها جميع أفراد المجتمع ككل، بغض النظر عن معتقداتهم؛ فالقرآن لا يعطي فرصة للظلم والظالم، والمسلم مطالب بأن يعدل مع جميع الناس سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، فالله يأمر بعدم إنقاص الناس حقوقهم، قال تعالى:)وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ([الاعراف:٨٥]. تفيد الآية أن البخس في المكيال والميزان سبب في الإفساد والفساد، وقد أهلك الله قوم مدين لأنهم كانوا يبخسون المكيال والميزان.

ثالثا: ربط العدل بالإيمان.

أمر الله المؤمنين بأن يستقيموا على الحق (يعني: العدل) الذي أمروا به، وجعل إقامة العدل صفة أساسية من صفات المؤمنين، فقال تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ([النساء:١٣٥]، فلا يمنعهم من أداء العدل قرابة ولا قوة ولا ضعف.

وفي نفس الوقت حذر الله من اتباع أهواء الناس، التي تخالف الحق وتجنح إلى الباطل، وألا يفرق بين حق وحق، بل يتبع الحق كله، يهواه أو لا يهواه، وهكذا أمر بالعدل بينهم، فقال ربنا (سبحانه) آمرًا رسوله (صلى الله عليه وسلم))فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ([الشورى:١٥].

رابعًا: الشمولية المؤدية إلى السعادة والقرار.

العدل القرآني يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكثر النسل، ويأمن به السلطان، وتنهض به الأمة. وقد وعد الله المجتمع العادل بالأمن والاهتداء قائلا:)الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ([الأنعام:٨٢] .

إضافة إلى ذلك، جعل الله الظلم سببًا لهلاك الأمم وإبادتها، قال تعالى:)قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ([الأنعام:٤٧]، أي: أن الظلم سبب

---

[212] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج١، ص٦٩٧ وما بعدها.

لهلاك وسخط وتعذيب الظالمين[٢١٣]؛ فالآية الكريمة تدل على أنه ليس هناك شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الناس من الظلم والجور.

خامسًا: عظم منزلة العدل عند الله.

قرر الله تعالى أنه سبحانه ليس بظالم لأحد من الناس، بل هو الحَكَم العدل الذي لا يجور؛ لأنه القادر على كل شيء، العالم بكل شيء، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحدًا من خلقه[٢١٤]، قال تعالى)وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) [ق:٢٩] وقال تعالى:)وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ([آل عمران:١٠٨]، ولهذا أمر عباده بالقسط (العدل)، وأعلن أن حبه دائمًا مع القائمين بقيمة العدالة في حياتهم، قال تعالى:) وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ([الحجرات: ٩].

وبالتالي يكون العدل من أهم القيم التي يقوم عليها المشروع النهضوي القرآني في مجال السياسة والحكم بصفة خاصة، وفي كل مناحي الحياة بصفة عامة، وهو مقصد رئيسي وضروري من مقاصد النهضة القرآنية، ولا يتصور صلاح الإنسانية ونهضتها، ولا انتظام أمرها إلا على أساس العدل.

ويتحقق العدل بتطبيق شريعة الله، وهذا هو معيار العدالة القرآنية، وهو معيار صحيح وحيد؛ لأنه يأتي من خالق البشر؛ فالخالق أدرى باحتياجات مخلوقه، ولا عبرة لمعيار العدالة من قبل عقول الناس بدون الاهتداء بالمنهج القرآني الإلهي؛ لأنها تميل إلى مصلحة مجموعة معينة، فلا معيارَ إذاً إلا للعدل القرآني.

قال صاحب الظلال: ((...وتدبير الله لهذا الكون ولحياة الناس متلبس دائماً بالقسط (وهو العدل) فلا يتحقق العدل المطلق في حياة الناس، ولا تستقيم أمورهم استقامة أمور الكون، التي يؤدي كل كائن معها دوره في تناسق مطلق مع دور كل كائن آخر..، ولا يتحقق هذا إلا بتحكيم منهج الله الذي اختاره لحياة الناس، وبينه في كتابه، وإلا فلا قسط ولا عدل، ولا استقامة ولا تناسق، ولا تلاؤم بين دورة الكون ودورة الإنسان، وهو الظلم إذن والتصادم والتشتت والضياع!...))[٢١٥].

---

213 انظر: تفسير البيضاوي، ص١٧٦.

214 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢، ص٩٣.

215 قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٣٧٩.

المطلب الثاني: مجالات العدالة القرآنية:

من أبرز مجالات العدل التي شدّد عليها القرآن – خصوصًا حينما نتكلم عن نهضة الأمة – ما سُمِّي في عصرنا: العدالة الاجتماعية، وترتكز على ثلاثة عناصر متكاملة، وهي كالتالي:[٢١٦]

١) التحرر الوجداني المطلق.

ويهدف إلى التخلص من الخوف و التذلل لغير الله، لنيل رزق أو مكانة أو أي نوع من أنواع النفع عن يقين أن الله وحده هو الرزاق، قال تعالى:)اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يُشْرِكُون)[الروم:٤٠]، والآية تدل على أن الخلق والرزق والإماتة والإحياء كلها بيد الله وحده فلا شريك له في ذلك، وليس للإنسان إلا الإقرار بها. [٢١٧]

٢) التكافل الاجتماعي الوثيق.

يقصد به التزام الأفراد بعضهم نحو بعض؛ فكل فرد عليه واجب رعاية المجتمع ومصالحه، قال تعالى:)يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ([البقرة:٢١٥]، قال ابن عاشور: ((...والآية دالة على الأمر بالإنفاق على هؤلاء والترغيب فيه، وهي في النفقة التي ليست من حق المال أعني الزكاة ولا هي من حق الذات من حيث إنها ذات كالزوجة، بل هذه النفقة التي هي من حق المسلمين بعضهم على بعض لكفاية الحاجة وللتوسعة...))[٢١٨].

وقال الأستاذ سيد قطب: ((...فالإنفاق في مثل الظروف التي نشأ فيها الإسلام ضروري لقيام الجماعة المسلمة في وجه تلك الصعاب والمشاق والحرب التي كانت تواجهها وتكتنفها؛ ثم هو ضرورة من ناحية أخرى: من ناحية التضامن والتكافل بين أفراد الجماعة؛ وإزالة الفوارق الشعورية بحيث لا يحس أحد إلا أنه عضو في ذلك الجسد، لا يحتجن دونه شيئاً، ولا يحتجز عنه شيئاً، وهو أمر له قيمته الكبرى في قيام الجماعة شعورياً، إذا كان سد الحاجة له قيمته في قيامها عملياً...))[٢١٩].

---

[216] انظر: قطب، سيد، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، ص٢٥ وما بعدها.
[217] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٧٧٢.
[218] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢، ص٣٠١.
[219] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج١، ص٢٣١.

٣) المساواة الإنسانية الكاملة؛

يراد بها التساوي بين جميع البشر، في المنشأ والمصير، وفي كرامتهم الإنسانية، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ([الحجرات:١٣].

وهذه العناصر تكون العدالة قيّمة بين أفراد الأمة في إعطاء الحرية، واختيار الدين والاعتقاد، وفي توزيع الثروة، وإتاحة الفرص المتكافئة لأبناء الأمة الواحدة، وإعطاء العاملين ثمرة أعمالهم وجهودهم، دون أن يسرقها القادرون وذوو النفوذ منهم، وتقريب الفوارق الشاسعة بين الأفراد والفئات بعضها وبعض، بالحد من طغيان الأغنياء والعمل على رفع مستوى الفقراء، وهذا الجانب سبق فيه الإسلام سبقًا بعيدًا، حتى إن القرآن منذ عهده المكي لم يغفل هذا الأمر الحيوي، بل أعطاه عناية بالغة، ومساحة واسعة. وعلى سبيل المثال؛ فمن لم يطعم المسكين كان من أهل سقر المعذبين في النار:) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)([المدثر: ٤٣-٤٤]، ولا يكفي أن تطعم المسكين، بل يجب أن تحمل نصيبك في الدعوة إلى إطعامه والحضّ على رعاية ضروراته وحاجاته:) أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) ([الماعون: ١-٣]، وإهمال هذا الحضّ يضعه القرآن جنبًا إلى جنب مع الكفر بالله تعالى:، الموجب للعذاب الأليم، وصلي الجحيم:) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) ([الحاقة: ٣٠-٣٤].

والمجتمع الجاهلي مجتمع مذموم مسخوط عليه من الله تعالى؛ لضياع الفئات الضعيفة فيه، وانشغال الأقوياء، بأكل التراث وحب المال:) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) ([الفجر:١٧-٢٠].

ومن ثم، فإن العدالة الاجتماعية بما تتضمنه من مساواة بين جميع أفراد المجتمع، حتى بين الحاكم و المحكوم، وبما تتضمنه من تكافل اجتماعي، تعد من أهم القيم في مشروع النهضة القرآني لبناء مجتمع متحضر قوي ومتماسك بالدين، وبرغم غياب الممارسة الحقيقية لهذه المفاهيم في مشروع النهضة الحضارية، فيجب على كل الأمة الإسلامية – خصوصا صاحب مشروع النهضة – استرجاع ما علمنا إياه القرآن، حتى نعيد البناء القوي والتعمير الاستخلافي لمجتمعنا، وحتى نشعر بعزة دين الإسلام، وبالمحبة والأخوة بين المسلمين، والأمان والطمأنينة في معيشتنا مع الآخرين.

وبعبارة أخرى: إن العدالة الاجتماعية من أهم الأسس في مشروع النهضة القرآني، بما تحمله من معانٍ وقيم رفيعة، تساعد على القيام بمجتمع يتمتع بالسلام والإخاء والمحبة والرخاء؛ لأن العدل يوفر الأمان للضعيف والفقير، ويُشْعره بالعزة والفخر؛ ويشيع الحب بين الناس، وبين الحاكم والمحكوم؛ ويمنع الظالم عن ظلمه، والطامع عن جشعه، ويحمي الحقوق والأملاك والأعراض.

والعدالة الاجتماعية تدفع المجتمع إلى إنتاج الابداعات الجديدة، ويحثهم – كذلك – على العمل والحركة نحو التمدن والحضارة، ويرفع مستوى إنسانيتهم في حياتهم، ويحقق وظيفة الاستخلاف، وآخيرًا يؤدي إلى الوحدة، فبحصول هذه الأمور، صار المجتمع قويًا وشريفًا ذا قيمة عالية للنهوض.

ومن ثم فإن أي مشروع للنهضة تختل فيه هذه القيمة لن ينجح، لذا كان الأمر بالعدل ومقاومةِ الظلم صريحًا لا يحتاج إلى تأويل، كما في قوله تعالى:) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ([النحل:٩٠]؛ فالعدل إذًا تضمن معه البناء والتعمير، وجعل العدل دافعاً إليهما؛ فسينهض الأمة بأقصى السرعة بإذن الله تعالى.

هذا هو العدل..، وهو الإنصاف، وإعطاء المرء ما له، وأخذ ما عليه، فالعدل مفهوم شامل، يعبر عن روح النهضة القرآني، ويستغرق جميعَ مناحي الحياة الفردية والاجتماعية، بكل مساربها وتشعباتها، ويشملُ الكونَ والإنسان وسائرَ الكائنات، ويصبغها بصبغة الحق، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير.

إن غياب العدالة من العقبات في طريق النهضة؛ فالظلم مؤذن بانهيار الحضارات وفناء المجتمعات، حيث لا أمآن للأفراد، ولا يستطيع أن يعمل أو يبدع أو ينتج الحضارة. وقد أكد القرآن هذه الحقيقة وذلك في قول الله تعالى:) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ([الأنعام:٨٢] [٢٢٠]، وإن الانحراف عن شريعة الله، والحق في الخلافة، والعدل في الحكم، إنما هو انحراف عن الناموس الكوني الذي قامت عليه السماء والأرض؛ وهو أمر عظيم، وشر كبير، واصطدام مع القوى الكونية الهائلة، لا بد أن يتحطم هذا الانحراف الظالم في النهاية ويزهق.[٢٢١]

((...وما من أمة قام فيها شرع الله، واتجهت اتجاهاً حقيقياً لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله.. ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته، فحققت العدل والأمن للناس

---

[220] محمد محمد داود، القرآن وصحوة العقل، ص٦٥.
[221] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٢، ص١١٤٢.

جميعاً، إلا فاضت فيها الخيرات، ومكن الله لها في الأرض واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء...))[٢٢٢].

وأشهر مظاهر العدالة الاجتماعية ما يلي:

١) العدل في الحكم:) وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ([النساء:٥٨]، وهذا يحتاج إلى تطبيق شريعة الله.

٢) العدل في القول: فلا يخرجه الغضب عن قول الحق، ولا يدخله الرضا في قول الباطل، يقول تعالى:) وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ([الأنعام: ١٥٢]

٣) والعدل عند كتابة الدين:) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ([البقرة:٢٨٢].

٤) والعدل عند الصلح بين المتخاصمين) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ([الحجرات:٩].

٥) العدل في الميزان والمكيال: المسلم يوفي الميزان والمكيال، ويزن بالعدل، ولا ينقص الناس حقوقهم، ولا يكون من الذين يأخذون أكثر من حقهم إذا اشتروا، وينقصون الميزان والمكيال إذا باعوا، وقد توَّعد الله من يفعل ذلك، فقال الله تعالى:) وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) ([المطففين:١-٥]. وقال تعالى:) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ([الرحمن: ٩].

٦) العدل مع النفس: بأن يوازن بين حق ربه، وحق نفسه، وحقوق غيره؛ أما العدل في حق ربه، فقال الله تعالى:)وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة:٢٥٤]، الاستشهاد بالضد، فكان الكافرون ظالمين؛ لأنهم ظلموا أنفسهم بشركهم بالله وبعدهم عنه. وأما العدل مع الناس فمثاله قوله تعالى:) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ([النساء: ١٣٥].

٧) العدل مع الأسرة، يقول تعالى في العدل مع الزوجات:) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

---

[222] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٦، ص٣٧١٣.

أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ([النساء:٣]، أما العدل مع الأبناء والبنات، فعليه قوله تعالى:)يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ([النساء:١١] .

٨) العدل في الشهادة فلا يشهد إلا بما علم، ولا يزيد ولا ينقص، ولا يحرف ولا يبدّل، قال تعالى:) وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ([الطلاق:٢].

من آثار العدالة في النهضة.

نستخلص مما سبق بيانه بعض آثار العدالة في النهضة، وهي كالتالي:

١- شيوع التكافل الاجتماعي في المجتمع.

٢- تكوين وحدة الأمة والمجتمع على أساس العدالة.

٣- اطمئنان كل فراد على حقه.

٤- انتشار الأمن في المجتمع.

٥- إبعاد الفوضى عن المجتمع.

المبحث الخامس: وحدة الأمة ضرورة معاشية وسبيل للنهوض.

المطلب الأول: التصور القرآني في وحدة الأمة الإسلامية

الوحدة لغة: الانفراد عن الأصحاب، إي: لا يخالط الناس ولا يجالسهم؛ والوحدة في معنى التوحد، وتوحد برأيه تفرد به.[٢٢٣]

ومن دلالة المعنى اللغوي لكلمة الوحدة، يمكننا أن نقول إن المقصود بالوحدة: ((هي تفرد الأمة المسلمة بخيريتها على الناس، وتميزها في عقيدتها ونظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وبأخوة المؤمنين في ظلالها تآلفا وتعاونا وتراحما كالجسد الواحد.))[٢٢٤].

فكما يتوجب على المسلم أن يقوم بكل ما هو مطلوب منه لإقامة العبادات الفريضة، يتوجب عليه كذلك أن يقوم بكل ما هو مطلوب منه لإقامة فريضة وحدة الأمة الإسلامية، فهي الإطار الأمثل لاتصال المسلم مع المسلم.[٢٢٥]

---

[223] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٣، ص٤٤٦ .

[224] العدوي، محمد عبد العليم، **الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة**، ط١، دار البيان للطبع والنشر، ٢٠٠٣م، ص٣ ؛ زقزوق، محمود حمدي، **هموم الأمة الإسلامية**، ص٦١ وما بعدها.

[225] انظر: يعقوب، أحمد حسين، **الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية**، ط١، منشورات دار الثقلين، بيروت، ١٩٩٤م، ص٢٢-٢٣؛ العدوي، **الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة**، ص١٣ وما بعدها.

وقد دعا القرآن الكريم إلى وحدة الأمة وأكد على أنها أمة واحدة، قال تعالى:)إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ([الأنبياء:٩٢]،)وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ([المؤمنون:٥٢]، إن هذا الخطاب موجه لأقوام الرسل أو لأمم الرسل، والله يريد أن يكون أتباع كل الرسل جماعة واحدة. ثم، هذه الجماعات التي بعث لها نبي وروسل مستقل، فلما يبعث الرسول الخاتم تؤلف أمة واحدة مع هذا الرسول.

وباستعراض كتب التفسير نجد أن السياق الذي وردت فيه هاتان الآيتان يدل على أن المراد بالأمة الواحدة أمم الأنبياء، ((فهي أمة واحدة تدين بعقيدة واحدة، وتنهج نهجًا واحدًا، هو الاتجاه إلى الله دون سواه، أمة واحدة في الأرض، ورب واحد في السماء، لا إله غيره، ولا معبود إلا إياه، أمة واحدة وفق سنة واحدة تشهد بالإرادة الواحدة في الأرض والسماء))[٢٢٦].

إن اصطلاح الأمة المسلمة لا يحده زمان؛ لأنه يمتد مع البشرية من أول يوم؛ لأن الله سماهم المسلمين من قبل، وإن المؤمنين من قوم عيسى وموسى وغيرهم من النبيين عبر التاريخ حتى محمد (صلى الله عليه وسلم)، هم الأمة المسلمة على مر الزمان إلى يومنا هذا، وهي لا يحدها مكان، فلا ترتبط بأرض ولا سياج أو دم، لأنها ليست فكرة قومية أو عنصرية، وإنما هو فكرة عقيدية إنها الأمة التي جمعت في أول عهدها مع صهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي لا فرق بينهم وبين القرشي.[٢٢٧]

فيتضح لنا أن الوحدة هنا تعني وحدة المقاصد والغايات، ولا يلزم بالضرورة أن تكون وحدة في الشرائع أو الوسائل:)شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى **أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**([الشورى:١٣]، والإشارة النهضوية في هذه الآية تكمن في قوله تعالى: "أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ"؛ مما يدل على أن النهضة لإقامة الدين تستوجب وحدة التمسك بالدين نفسه، وإلا ستكون تلك النهضة مخالفة للرؤية القرآنية. الأمة القرآنية هي الأمة المتحدة مقصدا وغاية، وإن اختلفت وسيلتها تبعا لاختلاف عصرها.

ودعا القرآن إلى الاعتصام بحبل الله المتين؛ لما فيه من القوة والعزة والمنعة المؤدية إلى استنهاض الأمة، فقال)وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا([آل عمران:١٠٣]، والاعتصام بحبل الله يعني التمسك بالقرآن وبالإسلام، وترك التفرق الجاهلي، وحرب بعضهم بعضاً، ونبذ الاختلاف في الدين، واحلال محل كل ذلك نعمة واحدة، وعمل جدي شامل، ومحبة بعد تباغض، وتفاهم بعد تخاصم، وتعاون بعد تنافر، ووحدة أساسها عبادة الله تعالى وطاعته، وهي مصدر

---

[226] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٣٩٥ وما بعدها، وكذلك ٢٤٦٩.

[227] يوسف كمال، **مستقبل الحضارة**، ط٢، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٧م، ص١١٧-١١٨.

عزة الإنسان وسموه ورفعته، والمساواة بين عباد الله جميعاً دون تعصب جاهلي، ولا تميز طبقي، ولا ترفع أو زعامة قبلية، إن هذه الوحدة وحدة ثابتة، وأنها ليست وحدة عشوائية، يعني ورائها القرآن.

ونهى القرآن عن التفرق والاختلاف، وحذر من التنازع؛ لما فيه من الفشل والخيبة والاحباط وزوال الوحدة، وعاقبة ذلك الاختلاف والتنازع هي الهلاك والفناء، قال تعالى:)وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ([آل عمران:١٠٥])وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ([الأنفال:٤٦]،)وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) ([الروم:٣١-٣٢].

إضافة إلى ذلك، أقر القرآن بأن حب الله يرافق المؤمنين الذين يقوم بمهمة الدين – ومنها مشروع النهضة القرآني – وهم في صف واحد، وهدف واحد، بحيث لا يتطرق الخلاف إلى نفوسهم ولا يصل النزاع إلى صفوفهم، فقال تعالى:)إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ([الصف:٤] [٢٢٨].

وأمر الله المسلمين في القرآن أن يتبعوا صراطه الحق الوحيد؛ لأنه المقوم الأساسي في الوحدة الإسلامية، وفي نفس الوقت نهى الله عن اتباع السبل لما فيه من الخراب المؤدي إلى التفرق، فقال تعالى:)وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ([الأنعام:١٥٣]، فصراط الله وسبيله ظاهر الاستقامة، لا يضل سالكه، ولا يهتدي تاركه، ولقد أفرد الصراط، صراط الله، وجمعت السبل، لأن صراط الله هو الحق، والحق واحد، والباطل ما يخالفه، وهو كثير.

الاعتصام بحبل الله وصراطه تعالى، مع الابتعاد عن أهواء الناس:)وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ([الجاثية:١٨]، هو الذي جعل الأمة الإسلامية قائمة بمهمة الاستخلاف، فاستحقت الوعد الإلهي بالتمكين.

وبين القرآن أن من أعظم المنن التي من الله بها على هذه الأمة، أنه وَحَّدها تحت راية واحدة، هي راية الإسلام وعقيدة التوحيد، فألف بين أفراد الأمة وجعلها أمة واحدة، قال تعالى:)وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ([الأنفال:٦٣]، وأذهب عن المسلمين عصبية الجاهلية، وجعل علاقتهم علاقة

---

[228] انظر: أ.د. وهبة مصطفى الزحيلي ، عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق سابقاً ورئيس هيئة الرقابة الشرعية في بنك الشام الإسلامي الأول في سورية، **الفرقة والتجزئة ... إحدى معوقات النهوض في العالم الإسلامي والعربي** ، المؤتمر الدولي الرابع، نحو مشروع نهضوي اسلامي، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ

الأخوة الكاملة الحقيقية)إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ([الحجرات:١٠]، وهذه رابطة الأخوة يجب أن نعمل على تحقيقها في الواقع؛ لأنها من أقوى البواعث والدوافع النفسية والمصلحية لتحقيق وحدة الصف والكلمة، والمنهج والحياة، بألوانها المختلفة ومتطلباتها المتنوعة الكثيرة؛ ولحفظ هذه الرابطة، وجه القرآن أمته إلى الإصلاح بينهم، ولم يترك شبرا للاختلاف والتنازع المذموم.[٢٢٩]

وإن مقتضى وحدة الأمة – في مبدأ الأخوة الإسلامية – يلبي احتياجات البشرية الاجتماعية من تعاون القوي مع الضعيف، والغني مع الفقير، وتقاسم الثروة والهموم، ومشاطرة الأحزان، والمشاركة في الأفراح، وتبادل التهاني، وإخلاص المودة، وإشاعة المحبة، وإيثار السلام والصلح والوئام، والبعد عن إثارة المنازعات، واجتناب كل ما يؤدي إلى توليد العداوات أو الخصومات، والترفع عن الطعون وألفاظ السباب والشتائم، والغيبة، والنميمة، وإلحاق الضرر أو الأذى بالآخرين.

وقد تحدث القرآن عن الحالة الطارئة التي قد تحدث بين المسلمين، وهي الاختلاف، وربما الاقتتال، وبين كيف تعالج ليعود المسلمون إخوة، كما كانوا قبل الاختلاف والتخاصم..، قال تعالى:)وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ([الحجرات:٩].

ولم يكتف القرآن بعلاج هذه الحالة الخطيرة التي قد تصل إلى حد الاقتتال، بل عالج حتى الأمور النفسية والسلوكية التي تؤثر في الأخوة بين المسلمين، فقال تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) ([الحجرات:١١-١٢] [٢٣٠].

وذكّر الأمة بأثر الوحدة في تأليف القلوب وجمع الكلمة، وما يترتب على كل ذلك من الخير والعزة والمنفعة، قال تعالى:)وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا([آل عمران:١٠٣].

---

[229] انظر: يعقوب، **الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية**، ص٢٣.

[230] انظر: عمر يوسف حمزة وأحمد عبد الرحيم السايح، **معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية**، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص١٢٧-١٢٩.

واهتمام القرآن بقضية الوحدة أوصلها إلى أفقها الأعلى، وذلك حين قال تعالى:)أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا([المائدة:٣٢]، حيث يشير إلى قوة الترابط بين بني البشر عامة، ومن باب أولى بين المؤمنين خاصة؛ فجعل جناية الإنسان على غيره جناية على البشر كلهم، ثم من كان سببًا لحياة نفس واحدة بإنقاذها من موت كانت مشرفة عليه فكأنما أحيا الناس جميعًا [٢٣١].

وقد وضع القرآن قواعد لصيانة هذه الوحدة، وحمايتها من التصدع والانهيار، ومن تلك القواعد:

١) وجوب القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع الاسلامي، قال تعالى:)وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥))[آل عمران:١٠٤-١٠٥]، فقد جمع سبحانه بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين النهي عن التمزّق والاختلاف، وذلك لأن الاختلاف والتفرّق نتيجة حتمية لتعطيل مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢) وجوب طاعة الله ورسوله، قال تعالى:)قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ([النور: ٥٤]، ولا شك أن من معاني الهدايةِ: الهداية إلى طريق الوحدة والتمسك بها.

٣) التبين والتحقق من الادعاءات والأخبار، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ([الحجرات:٦] وعدم التبين يؤدي إلى اتهام الآخرين بما ليس فيهم؛ ما يؤدي إلى حالة من البلبلة والفتنة في المجتمع. [٢٣٢]

٤) التحاكم إلى القرآن والسنة عند التنازع والاختلاف)وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ([الشورى:١٠]؛ ذلك أن التنازع والاختلاف إنّما هو نتيجة لتعدّد الآراء وتباين الاتجاهات، وفي هذه الحال لا يتم التغلب على مثل هذا الخلاف والسيطرة عليه إلا برده إلى مرجع يتفق المختلفون على وجاهته والإذعان لحكمه، ومن ثم كان الأمر برد المتنازع فيه

---

[231] رشيد رضا، تفسير المنار، ج٦، ص٢٨٨

[232] انظر: عمر يوسف حمزة وأحمد عبد الرحيم السايح، **معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية**، ص١٢٧-١٢٩.

إلى الله ورسوله هو التوجيه الرشيد والنصح السديد، الذي يفصل في النزاع قبل تفاقمه، ويفضّ الخلاف قبل انتشاره واتساع رقعته.[233]

وبهذا يكون القرآن قد رسم صورة متكاملة عن الوحدة؛ فقد أمر بها، ونهى عن ضدها، وبين أسباب الفرقة، ورسم الطريق للوحدة، وبيَّن الوصول إليها وحمايتها.

المطلب الثاني: مقومات الوحدة وضروريتها في مشروع النهضة القرآني.

ظهر في المطلب السابق أهمية الوحدة في الحفاظ على كيان الأمة، ومن هنا وضع القرآن مقومات لتحقق هذه الوحدة، وتتمثل في الآتي: [٢٣٤]

١) وحدة العقيدة:

إن وحدة العقيدة – التي تتبني عليها وحدة التصور – هي أحد أركان الإيمان، وهي بعد ذلك أساس النهضة الإسلامية والانبعاث الحضاري، بل هي الركن الركين والعنصر الأهم في هذه النهضة)آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ([البقرة:٢٨٥].

ويترتب على العقيدة الصحيحة ما يلي:

١- وحدة الفكر.

والمراد بوحدة الفكر في الأمة هو وحدة المبادئ الأساسية للأمة في صورة واضحة لكل فرد من أفراد الأمة، والفكر هو أهم جوانب الإنسان، فالإنسان ليس إنسانا بجسمه وبهيئته وبشكله فقط، ولكنه في الحقيقة إنسان بعقله وفكره.

٢- المحبة.

إن المحبة القائمة على أساس من العقيدة هي التي تبقى، ولها أثرها الكبير في وحدة المسلمين.

٣- التعاون.

إن العقيدة الإسلامية هي المحرك الرئيسي للتعاون بين المسلمين؛ لأنهم يشعرون بقيمة التعاون وما يحققه لهم من الفوائد الكبيرة الملموسة لكل من يتعاون مع إخوانه.[235]

والأمة لا يمكن أن تنهض من كبوتها، ولا أن تقوم بدورها، كأمة شاهدة على الناس، وكأمة كانت وسطا بين الأمم، إلا بهذا الشرط الأساس. فالوعي الديني استيقظ في الأمة، وهو في حاجة

---

[233] انظر: العدوي، **الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة**، ص١٢١ وما بعدها.

[234] **هموم الأمة الإسلامية**، د. محمود حمدي زقزوق، ص٧١-٨٧، انظر كذلك: **الأمة الربانية الواحدة**، ط١، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ١٩٨٣م.

[235] انظر: عمر يوسف حمزة وأحمد عبد الرحيم السايح، **معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية**، ص٤٧-٥٤.

إلى من يوجهه وجهة صحيحة؛ ليكون أساسًا واحدًا لجمع كلمة الأمة، والقضاء على المذاهب المنحرفة، والعقائد الضالة المتسللة إلى مجتمعات المسلمين، وهذه الوحدة العقدية، تدفع المسلمين كلهم إلى التجمع والتفاهم والتعاون والاتفاق، وضرورة التلاقي السريع..، فيكون الانبعاث الديني العقدي سببا للنهضة وللانبعاث الحضاري الثابت والصحيح.[٢٣٦]

٢) وحدة الشريعة والمنهاج

قال تعالى:)ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ([الجاثية:١٨]، وقال تعالى:)لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا([المائدة:٤٨]، إن الشريعة الإسلامية شريعة السمو والكمال والخلود، وهي صالحة لكل زمان ومكان؛ قال تعالى: مبينا كمال هذه الشريعة)الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي **وَرَضِيتُ** لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا([المائدة:٣] وما رضيه الله لنا فيه الخير والقوة والازدهار.

ووحدة مصدر التشريع أصل أصيل في وحدة المسلمين، وذلك أن مصدر التشريع واحد لدى المسلمين، وهو القرآن الكريم، كتاب الله الذي أنزله ليكون دستور الخالق في إصلاح الخلق، ينظم الحياة، ويعالج النفوس، ويقوم اعوجاج المجتمع، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥) ([النساء:١٧٤-١٧٥].

والإلتزام بتطبيق الشريعة شيء معروف ومعلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى:)وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا([الأحزاب:٣٦]، وهو لخير الأمة وسعادتها ولإنقاذها من تسلط الأعداء، فيكون سببًا لوحدة الأمة الإسلامية، ولنهضتها في المشارق والمغارب، وفي كل زمان ومكان.

ولهذا فإن العودة إلى شريعة الله أمر ضروري؛ لأنه أمر أوجبه الله، ولأن الإنسان ليس له قدرة على وضع التشريع المناسب، وضروري لأن الأمة لا تجتمع وتشريعاتها مختلفة، وإن للتشريع أثرا في حياة الإنسان، في مفاهيمه وتصوراته وموازنته، فلا بد من وحدة التشريع لتتحد مفاهيمه وتصوراته وموازينه..، ومن ثم تتحق له وحدته المنشودة.[٢٣٧]

---

[236] انظر: الغامدي، أحمد بن سعد حمدان، **الوحدة الإسلامية أسسها وسائل تحقيقها**، توزيع مؤسسة الجريسي، ط١، ١٤١٠هـ، ص٣٨-٤٠.

[237] انظر: الغامدي، **الوحدة الإسلامية أسسها وسائل تحقيقها**، ص٤٤-٤٥.

٣) وحدة القبلة والعبادة:

إن شعور المسلم بكونه يستقبل القبلة التي يستقبلها إخوته المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها يجعله ينجذب تلقائياً إلى أهل ملّته، ويعد نفسه فرداً من أفراد الأمة الإسلامية وعضواً من أعضاء جسدها، وإن كان لا يعرف منها أحداً ولا يعرفه منهم أحد:)فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ([البقرة:١٤٤] . أما العبادة – التي تنبني عليها وحدة الغاية لقوله تعالى:)وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ([الذاريات:٥٦] – فأصلها إفراده تعالى: بالعبادة استسلاماً وخضوعا لأمره واجتنابا لنهيه)إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً **وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**([الأنبياء:٩٢]، وهذا أصل لوحدة الأمة الإسلامية ونهضتها، فالمعبود واحد، والعبادة واحدة، وعليه فإن العبّاد أمة واحدة، وكلهم داخلون في مشروع النهضة الواحدة.

٤) وحدة القيادة والولاء:

للمسلمين قيادة واحدة، على مدار الزمان واختلاف المكان وتعدد المذاهب، وكل قيادة سواها إنما تستمد شرعيتها من متابعتها لهذه القيادة، والالتزام بمنهجها، والسير على طريقها. قال تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ([النساء:٥٩]،)وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا([النساء:١١٥]،)وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ([الحشر:٧] .

فإذا ما اتضحت هذه الحقيقة وتقررت في أذهان المسلمين، فإنه يمكن أن تتحد كلمتهم، وتجتمع صفوفهم؛ فالرسول هو القائد، والجميع أتباع له وأنصار، وبه يتأسون، ولحكمه يخضعون، وإلى سنته يتحاكمون، هذا أصل لا يمكن أن تتوحد الأمة بدون إدراكه والالتزام به.[٢٣٨]

هذه الوحدة تتطلب بداهة التعاون والتناصر بين المؤمنين، في وقت الرخاء ووقت الشدة على السواء)وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ([التوبة:٧١]، قال صاحب الظلال: ((...والرحمة لا تكون في الآخرة وحدها، إنما تكون في هذه الأرض أولاً، ورحمة الله تشمل الفرد الذي ينهض بتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ وتشمل الجماعة المكونة من أمثال هذا الفرد الصالح.

---

[238] انظر: الغامدي، **الوحدة الإسلامية أسسها وسائل تحقيقها**، ص٤١-٤٢.

رحمة الله في اطمئنان القلب، وفي الاتصال بالله، وفي الرعاية والحماية من الفتن والأحداث. ورحمة الله في صلاح الجماعة وتعاونها وتضامنها واطمئنان كل فرد للحياة واطمئنانه لرضاء الله...[٢٣٩]).

٥) وحدة الأخلاق والقيم

قال تعالى:)فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ([البقرة:١٤٨]، وقال تعالى:)وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ([المائدة:٢]، إن التسابق والتعاون المأمور به في الآية عام، ويشمل المؤازرة على كل عمل ينتج عنه الخير للفرد أو الجماعة أو الأمة، لا فرق في ذلك بين أن يكون ذلك الخير من مصالح هذه الدنيا التي تقرها الشريعة المطهرة، أو من وسائل السعادة في الدار الآخرة.

وإن من أوليات التعاون على البر والتسابق على الخيرات أن ينهض المسلمون لإعلاء كلمة الله، بنصرة دينه، وتأييد شريعته؛ وكذلك أن ينهض المسلمون لإعلاء كلمتهم نحو التقدم والتطور والتحضر في أمور معيشتهم، في شتى نواحيها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وغيرها، قال تعالى:)وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ([التوبة:١٠٥].[٢٤٠]

٦) وحدة الغاية

إن لهذا الإنسان الذي يعيش على ظهر هذه الأرض غاية، يؤديها أثناء وجوده. إذا عرفها وتمثلها في حياته سعد في دنياه وآخرته، وإذا جهلها أو أعرض عنها فإنه يشقى في الدنيا والآخرة، هذه الغاية هي "العبودية لله" كما سبق البيان عنها.

فلا بد من العودة الصادقة إلى تحقيق هذه الغاية، والالتزام بمقتضياتها؛ ليحقق المسلمون لأنفسهم السعادة في الدنيا والآخرة. إن تعدد الغايات وتنوعها يفتت الأمة، ويشتت كلمتها، ويجعل كل فئة من الأمة لها غاية تخالف غاية الفئة الأخرى، تسعى لتحقيقها والوصول إليها. فغاية اقتصادية...وغاية سياسية...وغاية شهوانية..، وهكذا غايات متعددة تنتهي بهم إلى فئات متصارعة وسبل متفرقة، قال تعالى:)وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ([الأنعام:١٥٣].[٢٤١]

---

[239] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٣، ص١٦٧٥.

[240] انظر: عمر يوسف حمزة وأحمد عبد الرحيم السايح، **معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية**، ص١١٢-١١٧.

[241] انظر: الغامدي، **الوحدة الإسلامية أسسها وسائل تحقيقها**، ص٣٦-٣٧.

٧) وحدة الأصل الإنساني والمساواة

إن الناس – مهما اختلفت لغاتهم وأجناسهم وألوانهم وأديانهم – من أصل واحد) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء([النساء:١]، هذه الآية فيها تقرير المساواة بين أفراد الأمة، واعتبارهم جميعاً بمنزلة واحدة من الحقوق والعدل والاحترام، فلا يعلو بعضهم على بعض بمال أو جاه أو منصب أونسب، ولا يفخر أحد منهم على أحد بقبيلة أو شعب أو عشيرة.

إن اختلاف الناس في أوطانهم وأعمالهم ومناصبهم لا يعد في الإسلام مدعاةً للتفاخر والتفاضل والتعالي، ولا يعتبر معياراً صادقاً للتمييز بين الناس وتقديم بعضهم على بعض، وهم متساوون إلا بالتقوى، وإن التعدد فيما بينهم قصد به التكامل والتعارف[242]، قال تعالى:) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ([الحجرات:١٣]، فجعل المسلمون يتسابقون – في إطار التعاون – في إسهام واشتراك في مشروع النهضة القرآني، لأنه من وسائل تحقيق تقوى الله بغض النظر عن الاختلافات الظاهرة بينهم.[٢٤٣]

وإن واقع الأمة الإسلامية اليوم، يعج بالضعف والهوان وتسلط الأعداء عليهم، وذلك بسبب ما تعانيه هذه الأمة من الاختلاف والتنازع، ولكن هذا الأمر العارض – ولو طالت مدته نسبيا – يجب ألا يثنينا عن الحرص على النهوض بالأمة مرة أخرى، والقرآن وجهنا إلى ذلك، قال تعالى:)وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ([الأنفال:٢٦].

وإذا أرادت الأمة الإسلامية بناء وحدتها ورفع ما تلقاه من الإهانات والظلم والعدوان، فعليها القيام بالآتي:[٢٤٤]

١) أن تحرر شعوبها، وأن تمكنها من حرية الكلمة والإرادة والاختيار والحركة، فلا أمل في بناء وحدة، ولا في تحقيق قوة، في غياب حرية الإرادة الشعبية وعزيمة المشاركة الجماعية، في تقرير مصير الأمة وبناء مستقبلها والنهوض بها على كل الأصعدة.

---

[242] الأستاذ الدكتور عبد السلام داود العبادي ، الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، مستشار الدولة للشؤون الإسلامية والدينية ، **المشروع النهضوي الحضاري الإسلامي ومواجهة التحديات** ، المؤتمر الدولي الرابع، نحو مشروع نهضوي اسلامي، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ

[243] انظر: عمر يوسف حمزة وأحمد عبد الرحيم السايح، **معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية**، ص٨٢-٨٥.

[244] انظر: القرضاوي، يوسف، **الحل الإسلامي فريضة وضرورة**، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٣٨ وما بعدها.

٢) عودة الأمة إلى إسلامها وشريعتها وأخلاقها وقيمها، فلا أمل في قيام وحدة ولا في تحقيق قوة ومنعة..، وشعوب الأمة بعيدة عن قرآنها وسنة نبيها، وتحكم بقوانين وضعية كثيرا ما تتعارض مع شرع الله القويم الحكيم،)يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ([مريم:١٢].

٣) ربط الأمة بمصالح شعوبها الاقتصادية المشتركة والمؤسسات التشريعية والدستورية الواحدة.

٤) التصدي لأعداء الأمة ورد مؤامراتهم وكشف دسائسهم)وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ([الأنفال:٦٠].

٥) إعادة الخلافة الإسلامية؛ لأن قوة المسلمين تكمن في وحدتهم، ووحدتهم تكمن في هذه الخلافة التي تظللهم،)وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ([النور:٥٥] [٢٤٥].

لذلك، يجب على كل متحرك بمشروع النهضة الإيماني أن يقوم بالمحاسبة دائمًا)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ([الحشر:١٨]، وأن يبحث عن أسباب الضعف والهوان والظلم والتخلف)وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ([هود:١١٣]، وأن يبحث عن عوامل الوحدة والنهوض)فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ([الأنفال:١].

ويمكن أن نستخلص ضرورة الوحدة في بناء النهضة في النقاط تالية:

١- إن الارتباط بالجماعة والتعاون معها يضاعف مقادير القوة، لأن الوحدة الجماعية تدخل فيها عوامل الترابط، وبذلك تكون بمثابة شيء واحد عظيم القوة، روحيا وجسديا، قال تعالى:)كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ([الصف:٤]؛ فمشروع النهضة بحاجة ماسة إلى هذه القوة في مواجهة التهديدات والمعوقات.

٢- إن الحياة ضمن إطار الوحدة تهذّب أخلاق الأمة، بمعيار الإلهية وبتعاليم الربانية مما يستوفى شروط الحصول على نصرة الله، والنجاح في نهضة الأمة وفق سنن الله الكونية)سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا([الفتح:٢٣].

٣- إن الوحدة تدفع إلى النشاط والحركة والعمل، وتطلق كثيرا من الطاقات النفسية الكامنة، حتى يحصل المؤمنون على الفلاح من عند الله تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ([آل عمران:٢٠٠].

---

[245] انظر: الغامدي، **الوحدة الإسلامية أسسها وسائل تحقيقها**، ص٤٦-٥٧.

٤- تحقيق التعاون للقيام بجلائل الأعمال الإنسانية الكبرى، التي لا يستطيع الأفراد أو المجموعات الصغرى القيام بها، مهما بلغت قواهم ونشاطاتهم.

آثار الوحدة الإسلامية وعلاقتها بالنهضة

١- قوة الأمة.

إن الأمة حين تجتمع على هدف واحد، وتسير صفًا واحدًا، يكون في اجتماعها واتحادها العزة والمنعة، وإن الاتحاد في العمل لله هو طريق النصر المحقق والقوة المرهوبة، قال تعالى:)وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ([الأنفال:٤٦].

٢- تحقيق النصر والتمكين.

إن الجماعة المؤمنة حينما تكون صفًا واحدًا متماسكًا ومتعاونًا على البر والتقوى، تستطيع مواجهة أعدائها، وهي كتلة واحدة، وبذلك يتحقق وعد الله بالنصر، كما قال الله تعالى:)وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ([التوبة:٣٦].

٣- إحقاق الحق وإقامة العدل.

ولن يكون هناك إحقاق الحق وإقامة العدل إلا إذا نهض المسلمون واتحدوا بعد الفرقة، وحملوا لواء دعوة الحق إلى الناس كافة، وعرفوا مهمتهم وغايتهم في الحياة، قال تعالى:)وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨) ([الأنفال:٧-٨] .

٤- عزة المؤمنين.

إن وحدة الأمة فيها عزة المؤمنين ومجدهم، وعليهم أن يسلكوا ذلك الدرب، وأن يستقيموا على الصراط ليحقق الله لهم ما وعدهم به، قال تعالى:)وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ([المنافقون:٨].

المبحث السادس: تأسيس منظومة الأخلاق القائمة على الحرية والمسؤولية.

المطلب الأول: الأخلاق ومنظومتها

إن منظومة الأخلاق لا يمكن تأسيسها، إلا في ضوء الإيمان والعقيدة، اللذين ينتجان الشعور بـ "الإلزام" في الضمير والقلب)وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا([الإسراء:١٣]، ((...وإلزامه له في عنقه تصوير للزومه إياه وعدم مفارقته؛ على طريقة القرآن في تجسيم المعاني وإبرازها في صورة حسية. فعمله لا يتخلف عنه وهو لا يملك التملص منه...))[٢٤٦]، والمقصود أن ذلك العمل لازم له، وما كان لازمًا للشيء كان ممتنع الزوال عنه، واجب الحصول له، وذلك الإلزام إنما صدر من الله، ونظيره قوله تعالى:) وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التقوى ([الفتح:٢٦][٢٤٧].

الخلقُ والخلْق: جمعه أخلاق، وهو: المروءة والعادة والسجية والطبع والدين.[٢٤٨] قال تعالى:)وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ([القلم:٤]، هناك عديد من التعريفات للخلق، والراجح في تعريفه هو: ((حالة نفسية تصدر عنها الأفعال بسهولة، فإن كانت الأفعال حسنة كان الخلق حسنا، وإن كانت الأفعال سيئة، كان الخلق سيئا. وهنا يمتاز مقياس الحسن والسوء بأنه من تحديد الله. ولذا فهو ثابت لا يتغير باختلاف الأشخاص، ولا باختلاف الظروف والأحوال والبيئات))[٢٤٩].

وقضية الأخلاق ليست قضية علمية، وإنما هي قضية سلوكية ومعيارية، داخل القلب والضمير في نفس البشرية، لا بد أن يكون هناك الإلزام، وأن تكون هناك مسؤولية، لأن شعورنا بالالتزام بالحق لذاته هو منبع المسؤولية، فإن الالتزام هو النواة الصلبة للمسؤولية. ويترتب على "المسؤولية" قيم أخرى أهمها "الحرية"، وهناك تداخل بين مبدأ الحرية ومبدأ المسؤولية. والحرية أصلا شرط من شروط المسؤولية، وليست الحرية مبدأ مستقلا في الحقيقة التطبيقية.[٢٥٠]

أما منظومة الأخلاق، فهي تدور حول ثلاثة محاور:

الأول: مجموعة تنظم علاقة الإنسان بخالقه وتسمى العقيدة والعبادات.
الثاني: مجموعة تنظم علاقة الإنسان مع نفسه، وتسمى النظام الأخلاقي أو السلوكي.

---

246 قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص٢٢١٧.
247 الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٠، ص١٣٤.
248 الفيروزآبدي، **القاموس المحيط**، ج٣، ص٢٣٦؛ إبراهيم مدكور ورفاقه، **المعجم الوسيط**، ج١، ص٢٥٢.
249 رشيد عبد الحميد ومحمود الحياري، **أخلاقيات المهنة**، ط١، دار الفكر، عمان، ١٩٨٤م، ص٦٧.
250 انظر: مغنية، محمد جواد، **فلسفة الأخلاق في الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م، ص٩١.

الثالث: مجموعة تنظم علاقة الإنسان مع غيره من الناس وتسمى المعاملات، وتشمل نظام الأسرة، ونظام السياسة، ونظام الإقتصاد، ونظام العقوبات.[٢٥١]

المطلب الثاني: المسؤولية والحرية والارتباط بينهما:

المسئولية تحمل ثقيل، وشعور بالواجب، يوجه تفكير الشخص، كما يوجه سلوكه وأقواله ومواقفه، بحيث يصير كل ما يصدر عنه ذا معنى وذا مقصد، ومن ثمة يكتسب قوته التي تجعله قادرًا على كسب الرهان، وبلوغ المقاصد التي قصدها، وتحقيق المطالب التي طلبها، بهذا يكون جميع ما يتحمله الإنسان (فردًا وجماعة) مسؤولية تستوجب النهوض بالواجب اتجاهها. فحياة الإنسان أمانة تتطلب المسؤولية، والدين أمانة يتطلب المسئولية، والأبناء أمانة يتطلبون المسئولية، والحِرفة أمانة تتطلب المسئولية.[٢٥٢]

معنى المسؤولية: إقرار المرء بما يصدر عنه من أفعال، واستعداده لتحمل نتائج التزاماته وقراراته واختياراته العملية، من الناحية الإيجابية والسلبية، أمام الله وأمام ضميره وأمام المجتمع.[٢٥٣] وخير دليل على ذلك قول الله تعالى:)كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ([المدثر:٣٨]،)لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ([البقرة:٢٨٦]، وقوله تعالى:)أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى([القيامة:٣٦].

والمسؤولية لها مجالان:

المجال الداخلي: يعني مسؤولية الإنسان عن قصده وإرادته وتصميمه، قال الله تعالى:)لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ([البقرة:٢٨٤].

المجال الخارجي: هو السلوك المحسوس، من قول أو فعل، شريطة أن يحدث ذلك عن قصد واختيار، قال تعالى:)لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ([المائدة:٨٩].

ومن ناحية أخرى، إن المسؤولية قسمان:

---

[251] انظر: محمد عقلة، **النظام الأخلاقي في الإسلام**، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٦م، ٢١-٢٣.
[252] انظر: مغنية، **فلسفة الأخلاق في الإسلام**، ص٩٦.
[253] بدوي، عبد الرحمن، **الأخلاق النظرية**، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥م، ص٢٢٣.

أولاً؛ المسؤولية الفردية، ودليلها قوله تعالى:)وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى([فاطر:١٨].

وثانيًا؛ المسؤولية الجماعية، وذلك في قوله تعالى:)وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً([الأنفال:٢٥] .

أما الحرية؛ فمعناها العمل بالإرادة، فالحرية الجديرة بالاعتبار، والتي تعارف عليها العقلاء من الناس هي التي لا تضر أحدا، ولا تعتدي على الحقوق، ولا تكون الحرية إلا إذا كانت منضبطة بالقيود، منها الشعور بالمسؤولية، إذًا فلا حرية لأي إنسان في عمل يضر غيره، ولا حرية له في عمل يخالف به مبادئ الشريعة ونظامها، ولا حرية له في عمل يعرضه هو نفسه للتلف والفساد. قال تعالى:)وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا([النساء:٢٩] .[٢٥٤]

وقد اقتضت حكمة الله تعالى: أن يعطي للإنسان الفرصة الواسعة في تنفيذ وأداء هذه المسؤولية، التي ترافق وجودهم في الأرض. وهذا ما اصطلح عليه بـ"الحرية". وهي ليست حرية مطلقة بدون قيود ولا ضوابط، بل إنها حرية مسؤولية، ومقيدة بأن تكون في حدود مصلحة الجماعة، وألاّ يكون فيها مضرة للغير، وليس للفرد في مجتمع المسلمين أن يستخدم حقه فيما يؤذي الجماعة ويضرها، كما أن حق الفرد إذا تعارض مع حقوق الجماعة، فإن حق الجماعة أولى بالتقديم، فالحرية مهما تكن درجتها أو مجالها بالنسبة للإنسان، فهي مبدأ لا يمكن المماراة فيه، وعلى أساسها وضعت القوانين، وقامت الشرائع السماوية، وانتظمت مصالح الجماعات الإنسانية، وأسست المؤسسات القضائية في كل المجتمعات المتناهضة المتحضرة.[٢٥٥]

أما وجه الارتباط بين الحرية والمسؤولية؛ فإن الشعور بالمسؤولية يتولد تلقائيًا داخل الإنسان حين يسمع نداء الضمير بالإلزام والواجب الأخلاقي، وهذا النداء لا يسمع إلا مع توفر الحرية الكاملة والقدرة على الطاعة والالتزام وامتثاله. فوجود حرية الإرادة والاختيار يقتضي وجود المسؤولية، فالمسؤولية متفرعة عن الإلزام، فلا مسؤولية بغير إلزام، وهذه المسؤولية تجعل الإنسان مسؤولا بمحض إرادته واختياره.[٢٥٦]

ومن الجدير بالذكر أن الإنسان هو المخلوق الذي كرمه الله بالحرية بالإضافة إلى الجان. أما المخلوقات الأخرى فتؤدي واجبها دون حرية، لأن الله تعالى لم يرتب عليها المسؤولية.

---

[254] انظر: الوكيل، محمد السيد، **قواعد البناء في المجتمع الإسلامي**، ط١، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٦م، ص٦٤-٦٦.

[255] انظر: الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي – سوريا ، **التوازن المرجعيات العقدية والسلوكية لمشروع النهضة الإسلامية** ، المؤتمر الدولي الرابع، **نحو مشروع نهضوي اسلامي**، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ

[256] انظر: محمد عقلة، **النظام الأخلاقي في الإسلام**، ص١١٠-١١١؛ مغنية، **فلسفة الأخلاق في الإسلام**، ص٩١ وما بعدها.

فالسماوات والأرض تقومان بعملهما طوعا وكرها، قال تعالى:)ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ([فصلت:١١].

وبهذين المبدأين، أسس القرآن منظومة الأخلاق، التي تنبعث ليس من العقل الذي يخطئ ويصيب، ولكن من الضمير الإيماني الإنساني؛ أي: قلب المؤمن الذي هو مفطور على إيثار الخير والحق، وبذلك يحسم الإسلام في الأمر، حينما يرجع بالإلزام إلى ضمير المؤمن الذي يعتقد أن الله هو الحق المطلق، وبأن ما يصدر عن الحق من أوامرَ ونواهٍ لا يكون إلا حقا.

ولذلك كان خطاب القرآن يقرن العمل بالإيمان، بحيث إذا لم يكن هناك إيمان، فلا يكون للمطالبة بالعمل أي مبرر، أما القرآن فقد ذكر صراحة بأن أولئك الذين يقرنون إيمانهم بأعمال الصالحات – منها مشروع النهضة القرآني لإعلاء كلمة الله الحق – بأنهم خير البرية فقال تعالى:)إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ([البينة:٧].

ومما تؤكده التجربة أن السلوك الأخلاقي إنما تبعث عليه الإرادة المحفزة بالإيمان، فقد يكون المرء على علم بطبيعة الخير والشر، ولكنه لا يتصرف بمجرد علمه؛ لأن المعرفة تظل مجرد عقل محايد، يستوعب الأمور، ويميز بين الخطأ والصواب، أما السلوك الأخلاقي فيرتبط بالإرادة، أي بالإيمان الذي يحركها لفعل المطلوب.

وفي القرآن الكريم ما يدل على أن العلم بالشيء لا يعني بالضرورة العمل بمقتضاه؛ فالعلم والسلوك يجتمعان ويتطابقان حيناً، ويتخلف أحدهما حينًا آخر، قال تعالى:)يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ([آل عمران: ٧١]، وقال تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ([الأنفال: ٢٧] .

إنها إشارة واضحة إلى أن الإنسان إذا ما اعتمد العقل والاستدلال وحدهما، دون الإيمان بمصدر الإلزام، والإصغاء لنداء الضمير الذي يحرك الإرادة، والاستجابة الطوعية للواجب، مهما تكن عواقب هذه الاستجابة، فإنه لن ينتفع بمعرفة العقل واستدلاله في مجال السلوك الأخلاقي. [٢٥٧]

---

[257] نفس المرجع

ثم أشار القرآن إليهما، فقال تعالى:﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:٧٢]، ففي هذه الآية بيان لأمور تالية:[٢٥٨]

- عبر القرآن عن "المسؤولية" بـ"الأمانة"، ثم أشار إلى "الحرية"، وذلك حين عرضت هذه الأمانة على الإنسان عرضاً، ولم تفرض عليه فرضاً، بمعنى أنه لا يقع تكليف الإنسان بها إلا بتدخل إرادي في تحملها، بدليل أن غيره قد أشفق من مسألة الاختيار، فاختار الإجبار على الطاعة.
- إن المسؤولية أمانة، تلقاها المؤتمن عليها، وهو الإنسان، لينهض بها على الوجه المطلوب بحكم تأهيله لها خَلقاً وتَخَلُّقاً.
- وإنما وصف القرآن الإنسان بكونه جهولاً وظلوماً، برغم تحمله للأمانة، وفي سياق ينبغي التنويه به، تذكيرًا له بأن القيام بالأمانة إنما يتحقق بأمرين، وهما العلم والعدل، وما لم يؤسس الإنسان المسؤولية عليهما فلن يكون إلا ظلوماً وجهولاً.
- إن الإنسان لم يتحمل هذه المسؤولية من باب المجازفة أو المغامرة، وإنما تحملها؛ لأنه مؤهل لأدائها، بما فطره الله عليه من استعدادات، لتجسيد العدل بين الأضداد في حياته، ولتحصيل العلم بالحق الذي ينير سبيله.
- ومن هنا تعتمد أخلاق القرآن على تحمل المسؤولية باعتبارها في مقدمة كل القيم الأخرى، التي تشكل منظومته المرجعية.[259]

وقد جاء بعد هذه الآية قوله تعالى:﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٧٣]، ومعنى ذلك: أن الناس أصناف بحسب موقفهم من هذه الأمانة؛ فهناك المؤمن المسؤول، وهناك المنافق المتخاذل، وهناك المشرك الناكص، وأن الله سيجزي كلاً حسب موقفه من هذه المسؤولية.

ويمكن أن نستخلص التصور القرآني لمبدأ "المسؤولية" في النقاط التالية:

---

[258] انظر: الكتاني، محمد، عضو أكاديمية المملكة المغربية، منظومة القيم المرجعية في الإسلام، المبحث: أثر المسؤولية في منظومة القيم، منشورة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)، ٢٠٠٤م.

[259] قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ج٥، ص٢٨٨٤.

١) إنها لا تتحقق لأحد إلا بعد علمه بمضمون هذه المسؤولية، حين يكون في حاجة إلى المعرفة، بما يتعلق بها من أحكام وتبعات، قال تعالى:)وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا([الإسراء:١٥]،)وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ([القصص:٥٩].

وحينئذ لا تكون للإنسان أي حجة تبرر سلوكه المُدان، حين يتعلل بالجهل أو الغفلة أو عدم التبليغ، قال تعالى:)رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦) ([النساء:١٦٥-١٦٦].

٢) تسقط المسؤولية بوجود موانع الوعي بالمسؤولية أو القيام بها، أي: عندما تتعطل الإرادة المسؤولة؛ بسبب جنون أو نسيان عارض أو غياب عقل أو إكراه، فالسلوك اللاإرادي غير مسؤول تمامًا. وهذا ما يقع للإنسان في بعض المواقف التي يجد نفسه فيها مكرهاً أو مدفوعًا بما يفوق طاقته، أو تفرض عليه غريزة الحفاظ على حياته التخلي عنها.

وقد جعل القرآن من ضمن دعاء المؤمنين التماس العون الإلهي لتجنيبهم أمثال هذه المواقف اللاإرادية:)لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ([البقرة:٢٨٦].

٣) إن معنى كون الإنسان مسؤولاً هو أنه يحاسب على أفعاله وتصرفاته، قال تعالى:)وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ([النجم:٣٩]، كما جعل الله الإنسان مسؤولا ليس فقط عن أعماله، بل حتى عن سمعه وبصره وفؤاده، فلا ينبغي استخدامها إلا بالخير، قال تعالى:)وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا([الإسراء:٣٦]، والقرآن الكريم يؤكد ذلك حينما يجعل المؤمن مسؤولاً أمام الله ورسوله وأمام نفسه، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ([الأنفال:٢٧]، وقال تعالى:)فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ([الأعراف:٦]، ويقصد بالمسؤولية هنا المحاسبة والاستجواب.

٤) يؤكد القرآن أن المسؤولية تكون في حدود طاقة الإنسان وقدرته، قال تعالى:)فاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ([التغابن:١٦]، الآية تدل على أن الله يأمرنا أن نبذل قصارى جهدنا في تحقيق تقوى الله بالتزام أوامره وترك نواهيه، وقال تعالى:)لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ([البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى:)وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ([الحج:٧٨]' تدل الآيات على أن التكليف في طاقة البشر. [٢٦٠]

ويمكن أن نستخلص التصور القرآني لمبدأ "الحرية" في النقاط التالية:

١) الدليل على الحرية قوله تعالى:)فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)([الغاشية:٢١] ؛ ومن هنا قال الله لرسوله (صلى الله عليه وسلم))وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ([ق:٤٥]، كقوله تعالى:)فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ([الرعد:٤٠]، وبهذه الحرية، سيحاسب الإنسان على كل تصرفاته في حياته أمام الله.

٢) أعطى القرآن الإنسان الحرية حتى في أعظم القضايا، ألا وهي قضية الإيمان، فقال تعالى:)فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا([يونس:١٠٨]، وقال تعالى:)فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ([الكهف:٢٩]، وقال تعالى:)وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ([يونس:٩٩]، وفي هذا إشارة بليغة إلى معنى حرية الاختيار لدى الإنسان، وذلك لأن الله خلق للإنسان عقلاً يفكر به ويختار، ويتحمل مسؤولية اختياره.

ومع أن الله خلق البشر، وفوض إليهم وسائل الخير والشر؛ فانه تعالى لم يكرههم على الإيمان به)لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ([البقرة:٢٥٦]، وهو (سبحانه) على ما يريد قدير، ولكنه لم يكرههم لحكمة الاختيار والاختبار، فمن باب أولى أن الرسول غير مكلف بإكراه الناس على الإيمان وعلى متطلباته، وذلك لأن للإسلام حكمة بالغة من وراء حرية الإنسان، وهي أن

---

[260] انظر: الكتاني، محمد، عضو أكاديمية المملكة المغربية، منظومة القيم المرجعية في الإسلام، المبحث: أثر المسؤولية في منظومة القيم، منشورة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، ٢٠٠٤م.

الإكراه على الفضيلة لا يصنع المجتمع الفاضل، وإنما تصنعه التربية والإقناع، وأن الإكراه على الإيمان لا يصنع الإنسان المؤمن.[٢٦١]

٣) الإنسان حر في كل تصرفاته؛ حيث نرى ارتباط فعل الإنسان بحركته الذاتية الحرة وسعيه الدؤوب لتغيير نفسه واتخاذ طريق الإيمان والهداية، وإن نتائج عمل الإنسان تعتمد على ما يختاره ويسعى إليه عبر تصميم سابق، قال تعالى:)إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ([الرعد:١١]، وقال تعالى:)وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى([النجم:٣٩]، وقال تعالى:)اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا([الإسراء:١٤]، وقال تعالى:)لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى([طه:١٥]، وقال تعالى:)كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ([المدثر:٣٨]، هذه الآيات تقودنا إلى استنتاج بديهي هو أن الحرية من الأصول الأساسية في الإسلام. وفي مشروع النهضة القرآني.

٤) الحرية نقيض الفوضى، كما أن مشروع النهضة القرآني نقيض الفوضوى، والإسلام قيد الحرية منذ البداية، وجعلها حرية منظمة، تفيد ولا تضر، وتبني ولا تهدم، وتقدم ولا تؤخر. ومع إعطاء الإسلام للإنسان كامل الحرية في التصرف، ولكنه طلب من الإنسان أن يكون معتدلاً ومتوازنًا بين عنصرين أساسين فيه الإنسان – المادي والروحي –، قال تعالى:) وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ([الأعراف:٣١]، فالحرية على هذا نشاط إنساني إيجابي، يعتمد العمل الذي يرضي الله، ويؤدي إلى منفعة الآخرين.[٢٦٢]

فالإسلام لم يقل إن الإنسان حر دون أي ضابط – لأنه عند ذلك سيترك الحرية للبعض وينفيها عن الآخرين، ما دامت الحرية المطلقة مرتبطة بالاعتداء على الآخرين – فإن ذلك يرجع إلى أنها محددة عن طريق إرادة الله، ولكن هذا التحديد لا يعني إلغاءها، فإرادة الله ذاتها هي التي جعلتها حرة، فالحرية الحقيقية لا بد أن تكون نتيجة للعبودية الكاملة لله رب العالمين.[٢٦٣]

من أهم القيود التي قيد بها الإسلام الحرية:[٢٦٤]

١– استشعار الفرد لمسؤوليته في كل ما يقول وما يفعل؛ لأنه لا حرية بدون مسؤولية.

---

261 محمد محمد داؤد، القرآن وصحوة العقل، ص٩١.

262 انظر: **الإسلام ومفهوم الحرية**، ط١، حورية يونس الخطيب، دار الملتقى للنشر، ليماسول، قبرص، ١٩٩٣م، ص٦٤–٦٦.

263 انظر: **هموم الأمة الإسلامية**، د. محمود حمدي زقزوق، ص١٢٩–١٣٠.

264 انظر: أبو عجوة، محمد نجيب أحمد مصطفى، **المجتمع الإسلامي: دعائمه وآدابه في ضوء القرآن**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ص١٨١.

٢- عدم الإضرار بالآخرين وحقوقهم.

٣- ألا تؤدي حرية الفرد أو الجماعة إلى تهديد سلامة النظام العام وتقويض أركانه.

٤- أن يكون التمتع بالحرية في إطار الصالح العام، وبما يتمشي مع مقدساته وأخلاقه.

وإذا كانت الحضارة تتوقف في المقام الأول على الإنسان، ولما كان الإنسان مكلفًا ومسئولاً، فإن الحضارة تعني التزامًا أخلاقيًا.

فمشروع النهضة إذن ليس مجرد وصول إلى حضارة إنتاج أو استهلاك، فهذه لا تستحق أن يطلق عليها لفظ نهضة ولا حضارة، فلا يكفي أن يقتني المرء النهضة الحضارية مجرد اقتناء، دون أن يكون ملتزما أخلاقيا بمنظومة القيم الحضارية والسلوك الحضاري، ولهذا نجد من يستخدم كل منتجات الحضارة، ولكنه لا يسلك سلوكًا حضاريًا؛ فالحضارة مسؤولية والتزام أخلاقي، يجعل المرء على وعى بالدور الكبير الذي يجب أن يقوم به؛ فهو ليس مسؤولاً عن أفعاله الخاصة فحسب، وإنما عليه أن يتحمل المسؤولية عن العالم الذي يعيش فيه.[٢٦٥]

آثار الأخلاق في النهضة

من آثار الأخلاق في النهضة ما يلي:

١- الكمال والسمو، وذلك من خلال صفة الاستقامة، كما في قول الله تعالى:)إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) ([فصلت:٣٠-٣٢].

٢- القوة والاقتدار، وذلك نتيجة من شعورهم بالمراقبة والمعية مع الله، قال الله تعالى:)وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ([الحديد:٤]، وقال تعالى:)وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ([البقرة:٦٣] .

٣- الثبات والاطراد؛ وذلك بسبب صدقهم ورجائهم في الله من دون أن يقنطوا، قال تعالى:)مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا الأحزاب:٢٣ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ([الزمر:٥٣] .

٤- نجاح عن طريق الصبر، قال تعالى:)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ([آل عمران:٢٠٠].

---

[265] حسب النبي، منصور محمد، **الإسلام والعلم**، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢٣٧.

٥- السعادة ورضى النفس، وذلك من خلال صفة التوكل والقناعة، قال الله تعالى:)وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ([الطلاق:٣].

٦- الألفة والوحدة، وذلك من صفة الرحمة والمحبة الإيمانية مع بعضهم، قال تعالى:)وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) [البلد:١٧]، وقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ([الحجرات:١٠] .

الخاتمة

إن القارئ في كتب التفسير يجد بشكل عام أن فيها العديد من الجهود الإبداعية المفيدة، المناسبة لواقع الأمة في كل نواحي الحياة، لتحل مشكلاتها بشكل تطبيقي عملي، لا بشكل نظري؛ لتكون أساسًا لنهضتنا اليوم، ولعل من كتب التفسير المهتمة بالنهضة: تفسير المنار لمحمد عبده الذي جاء جديدًا في منهجه وأسلوبه، حيث عرض به موضوعات التفسير عرضًا مختلفًا اختلافًا كليًا عما ألفه الناس قبله من الناحية التقليدية في التفسير.

وعندما نتكلم عن الأثر النهضوي في كتب التفسير فإننا نقصد بشكل عام كل كتب التفسير التي فيها عديد من الجهود الإبداعية، وقد أعطانا هذا الجهد حوافز ومعالم للنهضة الإسلامية إذا ما ترسمنا خطاها فإننا سنصل إلى نوع من الحل للأزمة، التي تعيشها الأمة المسلمة، ولهذا التراجع الحضاري الذي تعيشه الأمة المسلمة، ولعل أهم الأركان التي لها صلة بهذا الموضوع وأهم المرتكزات التي تقوم عليها النهضة، هو مسألة الإيمان بالله تعالى؛ لأنه يفضي بالإنسان إلى أن يكون مرتبطًا بربه، ربانيًا في حياته، رائدًا للتغيير والإصلاح مصداقًا لقول الله:) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ([الرعد:١١]؛ فالإيمان كما سبق وتبين لنا في هذا البحث أساس سكينة القلب وطمأنينته، وأساس الأخلاق، وهو الذي يحمي النفس من سيطرة الغير، ويبعث فيها الشجاعة والإقدام، ويقضي للإنسان الذي يؤمن بالله حياة طيبة في الدنيا قبل الآخرة:)مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ([النحل:٩٧].

والإيمان هو الذي يؤدي بالإنسان إلى أن يقوم بعمله على أحسن وجه، وليس الإيمان بمعزل عن العبادات والعمل، فقد ربط القرآن كثيرا الإيمان بالعمل، سواء على مستوى العبادات أو المعاملات، وهذا كله من الركائز الأساسية للنهضة، وهذا العمل الذي يؤدي بالإنسان إلى أن يكون إيجابيًا، وهو الذي يرتقي بمشاعر المؤمن لينهض بالهمم، وبالتالي يؤدي إلى حصول النهضة، وهذان مرتكزان أساسيان يلتحق بهما حث القرآن الكريم على التزود بالتقوى، وديمومة الحركة، والمشاركة على حسب الاستطاعة.

ثم تأتي ركيزة ثانية ألا وهي ركيزة العلم، وكما نعلم فإن العلم في الإسلام له وضعه وله مكانته التي تبينت لنا سابقًا في الفصل الثاني من هذا البحث، والعلم ليس فقط العلم الشرعي، وإنما العلم على كل المستويات، متصلاً بأمور السياسة والاقتصاد والأمور العلمية في البحث، والأمور العلمية الشرعية، وهي أعلى وأشرف العلوم على الإطلاق.

أما الركيزة الثالثة، فهي الإيجابية والدافعية ولا بد لنا من استحضارها عندما نتكلم عن الشريعة الإسلامية وعن المنهج القرآني في بناء النهضة، والإيجابية في حياة الإنسان نتيجة من نتائج الإيمان الركيزة الأولى، وهي تزرع في الإنسان رغبة في التغيير، وتعرض فيه مشاعر الحب لله تعالى، وترتقي بالإنسان، وتنمو بغايته، وتجعلها غاية في الوضوح، فتأتي الركيزة الرابعة ألا وهي سمو الغاية والوضوح.

وقد توصل البحث إلى عدد من خصائص النهضة في التصور القرآني، ولعل أهمها ربانية المصدر وواقعية التطبيق، والمشروع النهضوي الإسلامي مشروع مرتبط ارتباطًا كليًا بالله، وهو مرتبط ارتباطًا كليًا بمفهوم الألوهية، ولكنه مشروع قائم على فكرة أنه ممكن التطبيق لا يتجاوز إمكانات الإنسان ولا يخرج به عن بشريته؛ فهو يراعي فيه بشريته؛ إذ أنه هو الذي سيطبقه، وإذ أن هذا المشروع خاص بالإنسان مرتبط ارتباطًا كليًا بخلافته، لكنه في الوقت نفسه يرتقي به، فيبقى منهجه قرآنيا، يبقي منهجه منهجًا ربانيًا يسير فيه وفق الهدي الرباني، وكما أراد نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) المثل الأسمى في النهضة، وصاحب النهضة الأكبر الأعظم على مدار التاريخ.

ولعل من أهم الخصائص أيضًا الثبات والمرونة، الثبات في الأهداف والغايات والكليات والأصول، الثبات في القيم الدينية والأخلاقية، الثبات في المبادئ والضوابط، مع مرونة التطبيق في الشؤون الدنيوية والعملية، والمرونة في الفروع والجزئيات، والمرونة في الوسائل والأساليب، وهذه كلها خاصية مستمدة من خاصية الواقعية، ومرتبطة ارتباطًا كليًا بربانية المصدر؛ فلأنها ربانية فهي ذات ثبات، ولأنها ربانية فهي ذات مرونة، ولأنها ربانية فهي واقعية في تطبيقها، وكل مشاريع النهضة التي قامت منذ عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى عصرنا مشاريع تتسم بهاتين الصفتين الثبات والمرونة.

ومن خصائص النهضة كذالك: العالمية والخلود، وهذه الخاصية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بطبيعة رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) خاتمة الرسالات؛ لذا جاءت عالمية فهي ضمان للعالمية ذاتها، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم من أن النبي محمدا (صلى الله عليه وسلم) جاء رحمة للعالمين.

ومن خصائص النهضة كذالك الشمول في الفكر والتوازن في التطبيق، كيف لا؟! والنهضة الإسلامية اعتنت بالفكر منذ يوم الأول عندما نزل القرآن الكريم بإقرأ. كيف لا؟!، والقرآن الكريم يدعونا إلى التوازن دومًا، وهو الدين الذي يدعونا إلى الصراط المستقيم بلا إفراط ولا تفريط، توازن بين غايات الإنسان الأخروية وحاجاته الدنيوية، وتوازن بين حاجته

النفسية وحاجته السلوكية، توازن بين الروحي وجانب العقل، توازن بين حاجة البدن وحاجات الروح، توازن بين عبادة الله من جهة وبين حاجات المجتمع وحقوق العباد من جهة أخري.

ثم هناك صحة المنطلقات وسلامة الوسائل؛ وهو مبدأ أكد عليه القرآن، ورسمه للإنسان؛ ليكون دائمًا عليه، فالعمل لا بد له من منطلق سليم، ملتزم بمنهج النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم تأتي مبادئ التغيير وتحقيق المصلحة، مبادئ تثبت أهمية البحث عن الأحسن والأكمل الأتم؛ وأتم الأخلاق هو الذي يسعى إليه الإنسان في مشروعه النهضوي الإسلامي، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحد من آليات الحفاظ على هذه الخصائص.

هذه المرتكزات والخصائص لا بد لها من قيم تسعى لحفظها، قيم تميز هذه النهضة عن غيرها من النهضات التي يقوم بها الإنسان، نهضة الإنسان المسلم الملتزم بالقرآن الكريم، ولعل أولها وأهمها قيمة تفعيل العقل ومحاربة التقليد الأعمى، ولا يحتاج الإنسان إلى كثير الجهد في بيان أن القرآن الكريم حثنا على تفعيل دور العقل، يكون رائدًا لنا طالما أنه ملتزم ومنضبط بضوابط الشرع؛ فالعقل هو وسيلة فهم النص، والنص هو حاكم على هذا العقل؛ فكلاهما يكمل الآخر، ولا يمكن لنا أن نعزل العقل عن النص، ولا أن نفهم النص بدون استعمال العقل.

ثم تأتي قيمة أخرى، وهي تحقيق مفهوم إنسانية الإنسان وتكريم القرآن له، ولا شك أن القرآن كان يسعى إلى إرساء مفهوم الإنسانية؛ لأنه كرم به على سائر المخلوقات، وبه كان الإنسان مستخلفًا في الأرض، ولا يتحقق للإنسان هذا المفهوم إلا إذا التزم بما سبق من خصائص النهضة.

ومن مرتكزات النهضة التي بها يصير الإنسان إنسانًا مستحقًا لمفهوم الاستخلاف وإلا فلا خلافة له ولا تجوز عندما يعصي الله، وإنما يخرج عن هذه الضوابط ولا يتعدى كونه كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً.

ثم يأتي مفهوم الاستخلاف القرآني ودوره في تحقيق النهضة، وبيان أن هذه الرؤية الاستخلاف هي رؤية تدفع الإنسان ليكون إيجابيًا، يسعى إلى تحقيقها، هو يدرك أنه بالاستخلاف سيسود بإرادة الله تعالى، هو الذي وضعه هذا الموضع، فإذا فهم الإنسان ذلك فإنه سيسعى جاهدا لتحقيق عمارة الأرض، ليكون هو محور الخطاب القرآني، وإلا فهذا المفهوم إذا اختفى من حياته فإنه سيخسر، ولا يبقى له من مفهوم الإنسانية ومفهوم الاستخلاف شيء، والاستخلاف يحقق نهضة قرآنية عظيمة بالإنسان ترتقي به روحيًا وإيمانيًا وخلقيًا وترتقي باجتهاداته حتى تصير ملتصقة التصاقًا وثيقًا بمفهوم الاستخلاف، وليكون التوازن والتماسك مطلبًا من مطالب الإنسان، وله آثار يسعى الإنسان إلى تحقيقها في الدنيا قبل الآخرة.

ثم تأتي بعد ذلك قيمة العدل وهو من متطلبات الشريعة السمحة، وهو غاية سامية، ويجب على الإنسان تحقيق مفهوم العدل الفردي أو الجماعي في كل المجالات على حد سواء. فالقرآن يحث عليه كثيرًا، ويكفي فخرا للمسلم أنه يقرأ في أسماء الله الحسنى أنه العدل سبحانه. والعدل قيمة اجتماعية وبدونها لا يمكن المجتمع أن يقوم، ولا يمكن له أن ينهض، وللعدل آثار في الواقع تجعل المجتمع يقوم على أساس متماسك كالجسد الواحد وإلا فإنه لا يحقق أي جانب من جوانب النهوض، بل إن الظلم سيصعب التفكير بالنهوض. وللعدل آثاره على مستوى التكافل، والكرامة الإنسانية وحقوق الإنسان، وهي مستويات تذكرها كتب الفقه.

ثم تأتي قيمة الوحدة كضرورة للمعايشة وسبيل للنهوض، فبدونها لا ينهض الإنسان، وبدون الوحدة لا يمكن للمسلمين أن يحققوا لأنفسهم شيئًا، فلا بد للإنسان المسلم أن يلبي هذا المعنى، وقد جاء القرآن الكريم مؤكدا على الوحدة وعدم التنازع والشقاق بسبب الاختلاف، والاختلاف وإن كان حقا مشروع، إلا أنه إذا أدى إلى التمزق صار أمرًا خطيرا مذموما شرعا، والوحدة لها مقومات ولها نتائج قد ذكرت في الفصل الرابع.

وأخيرًا، لا بد في تحقيق هذه المفاهيم والقيم من وجود منظومة أخلاقية قائمة على الحرية والمسؤولية، تحث الإنسان للقيام بالنهوض الحضاري؛ لأنه إذا ما علم أن مشروعه الحضاري مرتبط بهذه المنظومة فإنه سيرتقي إلى ذروة الحضارة الإنسانية وفق المنظور القرآني.

المصادر والمراجع:

- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط٢، ٤ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن عاشور، محمد الفاضل، **التفسير ورجاله**، ط٢، دار سحنون، تونس، ١٩٩٩م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الغرناطي (ت ٥٤١هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المعروف بتفسير ابن عطية**، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م، ص١٩١٢.
- ابن عيسى، باطاهر، **فاعلية المسلم المعاصر رؤية في الواقع والطموح**، ط١، دار البيارق، بيروت.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريّا، **مقاييس اللغة**،(تحقيق عبد السّلام محمد هَارُون)، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن إبي بكر (ت ٧٥٢هـ)، **مفتاح دار السعادة**، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٤م.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد)، مؤسسة جواد للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٨٠م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط١٤، (تحقيق شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، ط ١، دار صادر، بيروت.
- أبو جبل، السيد أبو جبل، **تفسير سورة النور**، القاهرة.

- أبو حيان، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، **تفسير البحر المحيط**، ط٢، ٩ مجلدات، (تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ورفاقه)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود**، ط١، ٦ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- أبو عجوة، محمد نجيب أحمد مصطفى، **المجتمع الإسلامي: دعائمه وآدابه في ضوء القرآن**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.
- أبو يحيى، محمد وآخرون، **الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر**، ط٧، دار المناهج للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، ط١، (تحقيق محمد عوض مرعب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- الأشقر، عمر سليمان، **العقيدة في الله**، دار النفائس، عمان، ط١٥، ٢٠٠٤م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة، لبنان.
- الألفي، أسامة، **عوامل قيام الحضارات وانهيارها في القرآن الكريم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط١، ١٥ مجلد، (تحقيق محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- بدوي، عبد الرحمن، **الأخلاق النظرية**، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٥م.
- البغدادي، جلال الحنفي، **الحضارة الإسلامية من خلال الآي القرآني**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في التفسير والتأويل**، ط١، ٥ مجلدات، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.

- البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر(ت ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ٨مجلدات، (تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- البوطي، محمد سعيد رمضان، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، ط٣، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٠٠٣م.
- البيضاوي، أبو عبد الله عمر بن محمد الشيرازي (ت ٧٩١هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي**، (تحقيق الشيخ عبد القادر عرفان)، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.
- البيومي، محمد رجب، **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.
- التل، شادية أحمد، **الشخصية من منظور نفسي إسلامي**، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن، ٢٠٠٦م.
- الجرجاني، علي بن محمد الشريف، **كتاب التعريفات**، ط٢، (تحقيق د. محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٧م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار)، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- الجيلاني، الحاج يحيى، وآخرون، **القاموس الجديد الألفبائي**، دار الأطلسية، دار الأهلية، تونس.
- حبيب، سعدي، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، ط١، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٨٢م.
- حجازي، محمد محمود، **الوحدة الموضوعية في الفرآن الكريم**، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٧٠م.
- حسب النبي، منصور محمد، **الإسلام والعلم**، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- حوى، سعيد حوى، **كي لا نمضي بعيدًا عن احتياجات العصر**، ط ١، رسالة الأولى: منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة، دار عمار، بيروت. ١٩٨٨م.

- حوّا، محمد بن محمود، **التفسير ورجاله منهج تعليمي للمعاهد القرآنية**، ط١، دار نور المكتبات، جدة، ٢٠٠٣م.
- الحياري، محمود الحياري، و رشيد عبد الحميد، **أخلاقيات المهنة**، ط١، دار الفكر، عمان، ١٩٨٤م.
- الحياري، حسن، **التصور الإسلامي للوجود**، ط١، دار البشير، عمان، ١٩٨٩م.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق**، ط ١، دار النفائس، الأردن، ١٩٩٧م.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، ط٣، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٧م.
- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **سيد قطب: الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد**، ط١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.
- الخالدي، صلاح، **القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث**، ط٢، ٤ مجلدات، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٧م.
- الخطيب، حورية يونس، **الإسلام ومفهوم الحرية**، ط١، دار الملتقى للنشر، ليماسول، قبرص، ١٩٩٣م.
- الخطيب، محمد عبد الله، **المجتمع الإسلامي خصائص وحقائق**، ط١، دار المنار الحديثة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.
- الدامغاني، حسين بن محمد، **قاموس القرآن أو إصحاح الوجوه والنظائر في القرآن**، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م.
- داود، محمد محمد داود، **القرآن وصحوة العقل**، ط١، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦١م.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، **مفاتيح الغيب**، ط١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
- رشيد رضا، محمد (١٣٥٤هـ)، **تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار**، ١٢ جزءا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

- الزحيلي، وهبة، **القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصة الحضارية**، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٣م.
- زرمان، محمد زرمان، **وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم**، ط١، دار الاعلام، عمان، ٢٠٠٢م.
- زقزوق، محمود حمدي زقزوق، **هموم الأمة الإسلامية**، ط٢، دار الرشاد، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥م.
- زيدان، عبد الكريم، **أصول الدعوة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
- الزيدي، مصطفى عباس خماس، **آيات العمل الكسبي في القرآن**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.
- سابق، السيد سابق، **العقائد الإسلامية**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م.
- السايح، أحمد عبد الرحيم السايح، و عمر يوسف حمزة، **معالم الوحدة في طريق الأمة الإسلامية**، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م.
- السباعي، مصطفى، **من روائع حضارتنا**، ط٢، دار السلام، ٢٠٠٥م.
- سبع، توفيق محمد، **قيم حضارية في القرآن الكريم-العالم الذي صنعه القرآن**، ط٢، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤م.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في التفسير كلام المنان**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
- سلطان، جاسم محمد، **من الصحوة إلى اليقظة**، ط١، مؤسسة أم القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، ٢٠٠٥م.
- سفر، محمود محمد، **دراسة في البناء الحضاري**، ط١، سلسلة كتاب الأمة.
- الشرباصي، أحمد، **من أدب القرآن**، ظ٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م.
- الشربيني، الخطيب، **السراج المنير**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٤م.

- الشقاقي، محمود الشفاقي، **الفكر الإسلامي في مواجهة الحضارة الغربية**، ط١، مطبعة فجر السعادة–الدار البيضاء، ١٩٩٥م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ط١، ٩ مجلدات، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الشوكاني، محمد بن على بن محمد (ت ١٢٥٥هـ)، **فتح القدير**، ٥مجلدات، (تحقيق سيد إبراهيم)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.
- الصدر، محمد باقر(ت١٩٨٠م)، **الإسلام يقود الحياة**، دار التعارف، بيروت، ١٩٩٠م.
- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري**، ط١، ١٠ مجلدات، (تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر)، دار السلام، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- عارف، نصر محمد عارف، **الحضارة – الثقافة – المدنية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٤ م.
- عباس، فضل حسن عباس، **التفسير أساسياته واتجاهاته**، ط١، مكتبة دنديس، عمان، ٢٠٠٥م.
- عباس، فضل حسن عباس، **المفسرون مدارسهم ومناهجهم**، ط١، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٧م.
- عبد اللطيف، نبيل، **الإنسان كما فطره الله رأي في دعائم نهضة الأمم وبناء الحضارة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- العجمي، أبو اليزيد أبو زيد، **الحضارة الإسلامية وجه جديد**، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- العدوي، محمد عبد العليم، **الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة**، ط١، دار البيان للطبع والنشر، ٢٠٠٣م.
- عقلة، محمد عقلة، **النظام الأخلاقي في الإسلام**، ط١، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ١٩٨٦م.
- علي، حافظ علي، **النهضة**، دار الينابيع، عمان، ١٩٩٦م.

- الغامدي، أحمد بن سعد حمدان، **الوحدة الإسلامية أسسها وسائل تحقيقها**، توزيع مؤسسة الجريسي، ط١، ١٤١٠هـ.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.
- الغزالي، محمد الغزالي، **الطريق من هنا**، ط٤، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٥م.
- الغزالي، محمد الغزالي، **هذا ديننا**، ط٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٥م.
- غلوش، أحمد أحمد، **الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٧م.
- الغمراوي، محمد أحمد، **الإسلام في عصر العلم الرسالة والرسول والقرآن والإعجاز العلمي**، ط٤، دار الإنسان للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٩١م.
- الفوال، صلاح مصطفى، **التصوير القرآني للمجتمع الإنسان والنظم الاجتماعية**، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨٢٣هـ)، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.
- القربوتي، خالد عيسى عبد الله، **التذكرة في الثقافة الإسلامية**، ط١، الدار العثمانية، عمان، ٢٠٠٤م.
- القرضاوي، يوسف، **الإيمان والحياة**، ط١٦، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- القرضاوي، يوسف، **الحل الإسلامي فريضة وضرورة**، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٧م.
- القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- القرضاوي، يوسف، **العبادة في الإسلام**، ط٢٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٥م.
- القرضاوي، يوسف، **العقل والعلم في القرآن**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
- القرضاوي، يوسف، **فقه الزكاة**، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٢م.

- القرضاوي، يوسف، **مدخل لمعرفة الإسلام**، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠١م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي**، ١٠ مجلدات، (تحقيق وتخريج عماد زكي البارودي وخيري سعيد)، المكتبة التوفيقية، القاهرة،٢٠٠٥م.
- قطب، سيد، **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، ط١٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٩م.
- قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ط١٥، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- قطب، سيد، **في ظلال القرآن**، ط٣٧، ٦ مجلدات، دارالشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، ط٦، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م.
- الكتاني، محمد، عضو أكاديمية المملكة المغربية، منظومة القيم المرجعية في الإسلام، المبحث: أثر المسؤولية في منظومة القيم، منشورة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)، ٢٠٠٤م.
- الكيلاني، وآخرون، **دراسات في الفكر العربي الإسلامي**، دار الهلال، عمان، ١٩٩٠م.
- مبروك، محمد إبراهيم، **الإسلام والعولمة**، الدار القومية العربية وجهاد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٩م.
- محمود، عبد الحليم، **العبادة أحكام وأسرار**، الجزء الثاني، دار الكتب الحديثة، القاهرة، بدون تاريخ.
- المراغي، أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- مشهور، مصطفى مشهور، **بين الربانية والمادية**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٠م.
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة.

- مغنية، محمد جواد، **فلسفة الأخلاق في الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م.
- المودودي، أبو الأعلى (ت ١٩٧٩)، **نظام الحياة في الإسلام**، مؤسسة الرسالة، القاهرة.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، **الأمة الربانية الواحدة**، ط١، دار القلم، دمشق، ١٩٨٣م.
- نجاتي، محمد عثمان، **القرآن وعلم النفس**، ط١٠، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- النسفي، حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت ٧١٠هـ)، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٦م.
- النشمي، عجيل جاسم، **معالم في التربية**، مكتبة المنار الإسلامية، كويت، ١٩٨٠م.
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ط١، (تحقيق الشيخ زكريا عميران)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.
- والي، حمدي، **الإسلام والتحدي الحضاري**، ط١، مؤسسة شروق للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ٢٠٠٧م.
- الوكيل، محمد السيد، **قواعد البناء في المجتمع الإسلامي**، ط١، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٦م.
- ياسين، مألوف ياسين، **الأسس البنيوية في الحضارة الإسلامية**، ط١، دار الهجرة، بيروت، ١٩٩٢م.
- يعقوب، أحمد حسين، **الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية**، ط١، منشورات دار التقلين، بيروت، ١٩٩٤م.
- يوسف، محمد السيد محمد يوسف، **التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم**، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٧م.
- يوسف، محمد السيد يوسف، **منهج القرآن في إصلاح المجتمع**، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٤م.

الأبحاث:

- الراغب، عبد السلام الراغب، أستاذ في جامعة حلب بكلية الآداب والشريعة، **الجمود الفكري وأثره في المشروع النهضوي الإسلامي**، المؤتمر الدولي الرابع، نحو مشروع نهضوي إسلامي، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ
- الزحيلي، وهبة مصطفى الزحيلي، عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق سابقاً ورئيس هيئة الرقابة الشرعية في بنك الشام الإسلامي الأول في سورية، **الفرقة والتجزئة إحدى معوقات النهوض في العالم الإسلامي والعربي**، المؤتمر الدولي الرابع، نحو مشروع نهضوي إسلامي، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ
- العبادي، عبد السلام داود العبادي، الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، مستشار الدولة للشؤون الإسلامية والدينية، **المشروع النهضوي الحضاري الإسلامي ومواجهة التحديات**، المؤتمر الدولي الرابع، نحو مشروع نهضوي إسلامي، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ
- النابلسي، محمد راتب النابلسي – سوريا، **التوازن المرجعيات العقدية والسلوكية لمشروع النهضة الإسلامية**، المؤتمر الدولي الرابع، **نحو مشروع نهضوي إسلامي**، ١٦-١٨/١١/ ٢٠٠٨م الموافق ١٨-٢٠ ذو القعدة ١٤٢٩هـ

RENAISSANCE MILESTONES FROM QURANIC PERSPECTIVE: THEMATIC STUDY

By
Ahmad Fakhrurrazi Bin Mohammed Zabidi

Supervisor
Dr. Ahmad Fareed Abu Hazeem, Associate Prof.

Abstract

This research addressed the issue of the Renaissance in the Quran. It is an endeavor to explore and conclude the main values and characters of renaissance according to the Quran. This might help those who are in the search of renaissance to find their way out of the tunnel of decline and to step on the ladder of civilization.

This research also discussed the significant terms related to the subject of renaissance from the Quranic perspective and in the light of the Muslim Quranic Exegesis both the old and the contemporary works. It showed also the influence of this approach on the Quranic interpretation.

The research tried to explore and identify the noteworthy pillars of the Quranic methodology and its components in achieving the advancement which is associated with the work of faith and science and its role in constructing earth and developing the positive motivation.

After that, the study dealt with the characteristics of the Renaissance in the Quranic conception of its divine origin and the realistic application, steadiness and flexibility, universality eternity, balance in thought and practice, and authenticity of the premises means.

In conclusion, renaissance from the Quranic perspective has certain govern the Muslim attitudes. These values are the rationality which denies blind imitation fight against counterfeiting. The concept of humanity and humane legislation, the position of mankind being the vicegerent of God on earth and its role in motivating the Muslim towards achieving the Renaissance, he establishment of the value of justice, and the unity of Muslim Ummah as a necessary for uprising, and finally establishing code of ethics based on principles of freedom and responsibility.